



قصّة
قصيرة

حصن الآتيا

أحمد عمر فقرا

عصر الآتما

رواية

لأحمد عمر فقرا

حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب مؤلف الكتاب،
يسمح بالانتفاع الشخصي، وأي استخدام آخر منوط
بموافقة الكاتب.



الإهداء

إلى جودي ولور ابنتيّ الجميلتين
وإلى نساء العالم أجمعين، اللاتي ينقذن عوالمنا في كل يوم
ثم يخلدن إلى النوم وكأن شيئاً لم يحصل!

المقدمة

لقد اصطفّ كوكبنا في طابور البلاء منذ سنوات كثيرة وقد بدأ بالتحديد حين اجتاحه فيروس الكورونا في بداية القرن الماضي، حينها واجهت البشريّة تحديًا هائلًا، أرسل ظلاله على أنحاء الأرض كلّها.

كان على الخبراء والعلماء التوفيق بين غايتين عظيمتا الخطر، وهما من ناحية العزل الاجتماعي ومنع الاختلاط لمحاولة إيقاف توغّل الوباء، ومن ناحية أخرى مواصلة الحياة الاقتصادية والتجارية، وما تبقى من الاجتماعية!

وبعد تردد وحذر، كان الفوز حليف الفكرة الأسرع في التنفيذ، تقوم هذه الفكرة على تقسيم جميع البشر إلى أربعة مستويات بالقرعة، بحيث يكون لكل أهل مستوى منها مساحة محددة لا يمكن تجاوزها.

وأطلق عليها " الآتما " وهي عبارة عن الحرف الأول من كل كلمة من الجملة التالية: " آلية تحديد مسافة الإنسان "

قامت الآتما بتقييد البشر في أربع مسافات سمّيت
بالمستويات وهي كالتالي:

المستوى الأول: وهم البشر الذين لا يستطيعون الخروج
من غرفهم، وعرفوا بحبيسي الغرف، وعرفوا أيضا
(بالإيمبوت).

المستوى الثاني: وهم البشر الذين لا يستطيعون الخروج
من مدنهم، وهم السواد الأعظم

المستوى الثالث: وهم البشر الذين لا يستطيعون الخروج
من الإقليم، وعرفوا (بالإقليميين).

المستوى الرابع: وهم قلة قليلة من البشر الذين
يستطيعون التجول في جميع أنحاء العالم دون رقيب ولا
حسيب، وعرفوا (بالعالميين).

ولضمان نجاح الآتما كان عليها أن تكون حاسمة، وبالفعل
فقد كان قانونها الوحيد هو أنه من يقوم بتجاوز حدود
مستواه فإنّ مصيره الموت المحتوم المباشر!
لقد نجحت الآتما نجاحا حاسما وقد تخلص البشر من
فيروس الكورونا.

هذا ما يحصل عندنا، لكن ماذا عنكم؟ هل تقومون
بالتقسيم حسب الاستحقاق والترتيب عن جدارة عبر
المنافسة المشروعة التي تأتي بالأفضل؟ هل زمانكم
أفضل من زماننا؟ يهمني أن أعرف لكن المشكلة فيّ فأنا لا
تستهويني كتب التاريخ.

عموما نسي الناس العذاب الذي جثم على صدورهم
لسنين، وهم الآن في سكينّة! تجلب النسيان، وما بعد
النسيان إلا السلب!

الفصل الأول

إنها نهاية العالم! ازدادت وتيرة الموت المفاجئ بشكل مريب عما قريب سينهار كل شيء، ما هذا البلاء الذي حلّ على الجميع لقد دخل الموت كل بيت وأجمع الناس أنّ السبب فيما يحدث هم الايمبوت (حبيسو الغرف)، وقد استغل والي المدينة "عادل" ذلك استغلالاً خبيثاً، حيث كان يخاطب في مجموعة من الناس متجمهرين، ويقف هو في وسطهم قائلاً:

لقد امتلأ العالم بالأفعال المشينة، إذ يظنون أنه بلا حساب حتى جرّوا علينا الويلات والموت والمآثم، علينا أن نُظهِر أنفسنا قبل فوات الأوان قبل أن نموت كُلّنا، إنّ سبب هذا الموت المُحَدَق بنا هم الايمبوت. نعم إنّ الغرف هي أوكار الدعارة والسحر الأسود، لذا وجب أن نقضي عليهم قبل أن يقضوا علينا، في هذه العمارة يوجد حبيسُ غرفة وعلينا أن نُفَسِّقه الآن.

والتفسيق في عُرفنا هو ما يعادل الإعدام إذ لسنا بحاجة إلى
حبال غليظة، ما علينا فعله هو دفع الشخص إلى خارج
مستواه فتقوم الآتما بالمهمّة! إذ يقع الشخص ميتا على
الفور. أتعلم حين تخرج التمرة من قشرتها نقول فسقت،
كذلك فإن في عصرنا هذا إذا خرج الشخص من مستواه
فقد فسق! وهو لا شك الموت المحتوم!

بعد ذلك قدم عادل وهو طويل، ذو أنف مدبّب عاقد
الحاجبين في أغلب حالاته، وطلب مقابلي على انفراد
وأمرني بأن أسافر خارج المدينة في رحلة استكشافية في
محاولة لقياس مدى كارثية الوضع الجديد، لكنني رفضت
رفضاً قاطعاً إذ شعرت أنه يحاول التخلص مني لأنه يعرف
أنني سأعارض توجهه تجاه الایمبوت بكل ما أوتيت من
قوة، وقال في ذلك بوقاحة:

علينا أن نشغل الناس بقضية لكيلا تتحول مدينتنا
الحصينة إلى كومة حجارة.

لكن ليس بقتل أبرياء لا علاقة لهم بما يحصل عليك أن
تشرح الحقيقة لشعبك. قلت بغضب

اعلمي أنك تخالفين أمرا مباشرا من سيّدك، فإمّا أن
تنصاعي الآن أو ستدخلين السجن.

إنه فقط يحاول أن يسلك الطريق الأسهل أو أنه لا يملك
القدرة على إقناع الناس، والحالتين مصيبة ضربت رأس
الحصينة لقد أدخلوني السجن لأنني لا أشاركهم في خططهم
فهو يعتقد أن الغاية تبرر الوسيلة لكنني بخلافه أعتقد
بشفافية الحكم ولو على حساب عرشه المتهاوي.

آسفة جدا لقد نسيت أن أعرفكم بنفسي فكما ترون في
عالمي تتداعى علينا الولايات من كل حذب وصوب،
كوحش جائع فكّ وثاقه. أنا سارة عيناى خضراوان، أكلتي
المفضلة هي طحالب بحرية مقلية ومحشوة بداخل خبز
بأشكال سداسية. في مدينتي يوجد مستنقعات اصطناعية
مليئة بالطحالب اللذيذة أتذكر حين كنت آكل بشراهة
كبيرة آه على تلك الأيام، آه على يوم لا يفجعنا فيه الموت
بدا حينها كل شيء متماسكا، آه على يوم عاديّ أشعر فيه
بالممل وأنام فيه كثيرا ولا أفكر فيه بغد. غدا! ذلك اليوم
الذي صرنا نشك في بلوغه! والأمس ذلك اليوم الذي
أتجنب التفكير فيه لأنني أمقت فيه اختياراتي التي

أوصلتني إلى هنا، هذا هو السجن الحقيقي وليست هذه
الجدران المتهالكة.

جلست على أرضية السجن القديم وقد اتسخت ثيابي، كان
الفستان الذي ألبسه مصنوعا من الطحالب أيضا كان لونه
أخضر فاتح كلون العشب بداية الربيع، وكان يتخذ هيئة
الجلد بعد كويه ويظهر فضفاضا على الجسم. نحن نعتمد
في كثير من نواح حياتنا على الطحالب خاصة أننا لا
نستطيع الخروج من المدينة فقمنا بتطوير صناعة
الطحالب، حتى بيوتنا مبنية من طوب مصنوع من
الطحالب.

قبل تسعة أعوام من الآن حينما بلغت الواحد والعشرين
اطلعت على مستواي للمرة الأولى وصدقني إن قلت لك
أن هذا الاطلاع كان كرؤية ملك الموت؛ لأنك إن رأيته لن
تستطيع تجاهله. كان والديّ من المستوى الثاني وقد
حزنت كثيرا إذ لم أتلقى التعليم الكافي كما تلقاه الكثيرون
من أبناء جيلي وكان يقول في ذلك:

صدّقيني يا سارة إنّ إحساس الخسارة أهون من
الإحساس بالخيبة! ماذا لو كنت من حبيسي الغرف

(الايمبوت)؟ لن تنتفعي بالعلم ولن تستطيعي العيش
مع الخيبة للحظة واحدة.

كان والدي يظن وأعتقد أنه صادق في ذلك أنّ الجهل
يحمي الإنسان من التعاسة؛ لأنّ العلم بلا عمل كحبّ من
طرف واحد وكما قال حكيم في زمن بعيد: توقع السيئ
وتهيأ للجديد بيد أن والدي قد توقع السيئ وتهيأ له.

لقد كان لأمي رأي مغاير حيث كانت تقول:

إنّ توقع الأسوء دائما جعلنا عائلة من الانطوائيين!

بكل الأحوال أصبح الجنس البشري جنسا منطويا وظهرت
النزعات الانفرادية وبدأ انفصال كل مستوى عن الآخر
وانعدمت الثقة بين المستويات لا أدري لم أتذكر الماضي
بهذا الشكل، لكنه كان كذلك فعلا!

الفصل الثاني

ليس شرطاً أن توجهك الذاكرة للفعل الصحيح لكن من المؤكد أنها ستشحنك بالقوة. إن أول ما يطرأ على بالي في سجنى هنا هو خطيبي سالم عبد الحميد كان متوسط القامة، بطنه ممتلئة، يتميز بشامة جانب حاجبه الأيمن، وكان يضحكني تأمله الطويل لها كان يراقبها باستمرار خوفاً من أية تغيير فيها فقد يكون سرطاناً، وكان ذو شكيمة وعناد هو من المستوى الثاني في الآتما لذلك لم يخرج في حياته من المدينة.

لم نكن دائماً على وفاق إلا أنني كنت أحبه، ففي حين كان هو يندفع إلى الأشياء اندفاعاً كنت مترددة في كل شيء، لو سألتني أين ترين نفسك بعد عدة سنين؟ لرأيت صمتاً مخيفاً يهتك كماله شهقات هلع وذعر لم أدر حينها من المصيب فينا! لقد كان كما يجب أن يكون لكن المشكلة فيّ أنا فرؤيتي المستقبلية تتغير كلما حصل مدّ أو جزر وأفكاري تتلاطم كأمواج البحر فلا يتبقى منها إلا أشلاء،

والخطير في الأمر أنّ وضوح غايته تشق ضبابية أفكاره إلى
نصفين وتكمل ويأخذ بيدي يجرّني كما يُجرّ مريض
الباركينسون والأمر مرهق جدا جدا.

ليس هذا فقط! لقد كنّا كالأذنين نتطابق في شكلنا لكن كل
واحدة تسمع من جهة مختلفة عكسيّة، أذكر في يوم من
الأيام حين كان يهم بالخروج من بيتنا، انزلق عن الدرج مما
أدى لرضوض في كتفه، وبما أنّ القانون لا يعطي تعويضا
لمن ينزلق في بيته أو بيت من بيوت أقاربه أشهدني على
أنه لم يقع في بيتنا! لكنني بسذاجتي لم أستطع التفوه
بكذب فقد اعترفت دون أية وسيلة ضغط من طرفه وقلت
أنّ سالم انزلق عن درج بيتنا وبذلك منعت عنه التعويض
رغم أنه لم يعمل في تلك الفترة وعرضته للمساءلة
القانونية بسبب محاولة تمويه العدالة، وغضب غضبا
شديدا وحسب أنني بلهاء وقد خاصمته في ذلك ووضعت
علاقتنا كلها على المحك! لكنه اعتذر بعد ذلك وقال:

يا سارة! يا حبيبتي! تذكرين حين أخبرتك عن كميل
الذي ادعى الجنون وهو أعقل من في المدينة، إنه يتلقى
مرتبا شهريا بينما أنا لا أستطيع أن أعمل الآن! ولا

أستحق أية تعويض. عليك أن تفهمي أن الصدق فيما
تشعرين به وتراه عينك وإن قال لسانك عكس ذلك،
انتبهي لاختياراتك من الآن فصاعدا لأنك إن بقيت هكذا
فستجرين على نفسك الخسارة الفادحة والألم الجسيم.
أقولها بكل أسف لقد حدث تغير غريب على علاقتنا، فمذ
قضية التعويض التفت سالم إليّ! وقد بات وجميع همّه
محاولة تقويمي، وتصحيحي، وبيان الخطأ فيما أقوله
وفيما أفعله! وعدم وضوح رؤيتي لأحلامي وأهدافي زاد
الطين بلة وأقحم نفسه في أمور لا تعنيه واستعمل سلطة
الاندفاع وزينها بعناده المستميت، وحدث أن أخبرته بأنني
سأنضم إلى "برنامج الراسخ" وهو خطة تعليمية فردية
عملية تدعى عملية الرسوخ!

اسمعي! مثلما يقال: "إنّ السفينة مع شراع تميل مع
الهواء ولا تصل إلى الميناء" في الشراع المقابل تسكن
عجوز تدعى عزيزة، فقدت ولدها وما زالت تنزل كل يوم
في الصباح الباكر تبحث عنه وتناديه بأعلى صوتها! هل
عاد؟ هل وجدته؟ كلا ولن تعثر عليه أبداً! لأنه مات وهي
لم تصدق عينيها لا تكوني مثلها يا سارة، عليك أن

تصدقي عيونك ألا ترين حولك أن برنامج الراسخ لم
يجعل أحدا أكثر غنى أو جاها أو مركزا مرموقا! أنا
صراحة لم أعد أفقه كيف تفكرين!

أشعر أنني مدفونة في باطن الأرض كلما أزيح حفنة تراب
عن وجهي يضعون مكانها حفتين. حفنة من " أنت لا
تستطيعين " و حفنة من " وما جدوى ما تفعلين " لكنك
لست وحدك العنيد هنا يا سالم أنا أيضا عنيدة جدا
وأفعل ما أراه مناسباً لي! وأول ما أراه مناسباً في هذه
اللحظة:

أنت وضعت حبنا الرقيق في حلبة مصارعة مع عدو لدود
لا شك في هزيمته ولن أتحمّل ذلك.

عندئذ هرعت إلى علبة أقراص من الأدوية لا أدري ما هي!
فشربتها كلها وفقدت وعيي خلال دقائق معدودة وبدأ
الصراخ يخفت من حولي والملاح تتلاشى شيئاً فشيئاً.
قد يظن البعض أنني متسرعة لكن خشيتي كانت تتعاضد
منذ زمن بسبب طمسهم لشخصيتي واستحواذهم على
أفكاري وهذا السوء لا ينتهي إلا بالانكسار! وقد يظن
البعض أنني ضعيفة وهذا صحيح فعلاً لقد كنت ضعيفة

حين استجديت عدلهم وطلبت مساعدتهم في فكّ وثاق
الرقّ، إن الذي ترجى صداقته عبر تمكينه من اخراسي لا
حاجة لي به.

لكنني أفقت على صوت جدال بين أبي وسالم، وكنت
حينها ممدّدة في غرفتي:

أخرج من بيتي لا أريدك هنا كدت تتسبب في مقتلها لقد
جننت منذ قضية التعويض!

وحينما اتبها جميعا إلى وجودي معهم خاطبني والدي
قائلا:

اسمعي يا سارة عليك أن تتركه لن أتحمّل خسارتك.

لا أدري إن كان جادا فيما يطلبه! لكنني طلبت من سالم
البقاء وعدم تركي في حالة كهذه مما أثار غضب والدي! وفي
اليوم التالي توجه إليّ والدي قائلا:

إما أن تختاري والديك وإما أن تختاري خطيبك!

لكن لماذا تضعني أمام اختيار كهذا؟

لن أكون والدك إن لم أمنعك منه؛ لأنك لن تكوني
سعيدة معه ولن أقف مكتوف الأيدي حيال ذلك
سأمهلك ثلاثة أيام فقط!

هذه هي المواقف المرافقة للوجود! لو أني نجحت في
الانتحار لما كان لهذا الاختبار حاجة، لم يتعين علينا الاختيار
بين الشمس والقمر، فلماذا نضع أنفسنا أمام اختبار
بنفس الأهمية والمصيرية! الغريب في الأمر أننا ننظر
أنفسنا صائبين وحقيقتنا وفهمنا الأجدر في البقاء والازدهار
وما يخالف ظننا مصيره الموت! لست مخطئة في اختياري
بل هم المخطئون حين حشروا أنفسهم في كفة الميزان.
حين قدم سالم وأنا ما زلت طريحة الفراش قال:

تعلمين يا سارة! قصة المحبوبان اللذان ...

عندئذ قاطعة قائلة:

أخرس يا سالم! يكفي قصصا، إنني لا يهمني الأشخاص
ألم تفهم بعد! أنا أختارك لن أستطيع العيش دونك.

ووالدك؟

لا تقلق! أنا سأتكفل بإقناعه

كيف ستقنعينه؟

لا تشغل بالك! عليك الآن أن تفكر كيف تصالحي

طبعاً هو كذلك. قال بفرح، ثم أضاف

إني أعتذر لك عما بدر مني، لم أدر كم كنت تعانيين بصمت! لقد ذعرت خوفاً من فقدانك. قال وهو يبكي

خوف والدي عليّ تحول إلى قوة كاسرة وتخييره لي الآن معضلة! المشكلة تكمن في أن طرفي النزاع هم الأقرب إليّ وفي الغالب هم من كنت سأستشيرهم في هكذا أمور! من سأستشير الآن

كيف يمكنني الفوز والحسم في الاختيار فراق موجه! أريد أن يرضى الجميع؛ لذلك فقد رأيت أن ألوذ بحنان والدي بعد سكون غضبه. وبالفعل رجوته أن يعفو عن سالم لأنني أحبه جداً ولا أتخيل حياتي دونه، وفعلاً فقد سامحه. لقد مرّت عدة سنوات منذ هذه الحادثة يا ربي! كيف يمرّ الوقت بهذه السرعة؟

بينما كنت أغوص في ثنايا الذاكرة، وأتذكر خطبتي لسالم كان عادل والي الحصينة يعد الجنود لمواجهة تهديد

الإقليميين المتربصين حول المدينة والموجودين فعلا في
السوق الشعبية كتجار، ثم أحضرني من زنزاتي إليه وقال:

اسمعي يا سارة نحن أمام هجمة شرسة وقد قيل
قديمًا أنّ للإقليميين خطة لقتل سكان الحصينة
جميعهم والاستيطان هنا!

ولم أنا بالذات؟

لأنّ الإقليميين يرفضون التكلم إلا معك!

وماذا إن رفضت؟

اسمعي يا سارة عليك أن تعلمي أنني أضع مصلحة
المدينة فوق مصلحتي حتى لو لم تعجبك طريقتي في
إدارة الأمور، ومن هم سكان الحصينة؟ أليسوا أمك
وأبيك وخطيبك سالم وجيرانك!

وفعلا توجهت من فورها إلى السوق الشعبية حيث يتواجد
الإقليميون، لم يجذب انتباهي أيّ شيء غريب فهي
كسوق عادية مليئة بالخضراوات والفواكه والملابس،
وعلى جوانبه غرف صغيرة يستقر فيها الإقليميون فدخلنا

إلى واحدة وهناك كان ينتظرني موّقر الإقليميين (المستوى الثالث) عبّاد فقال:

بالنسبة لنا أنت حاكمة الحصينة يا سارة، خاصة أنك
تخلّيت عن ذلك من أجل إنقاذ فتاة!

أصبح هذا من الماضي، أما الآن فجئت بشيء مُلح، هل
لكم علاقة بما يحدث في الحصينة من حالات الموت
المفاجئ والهلع؟

لا نحن لسنا مسؤولين عن شيء كهذا! نحن لا نعمل في
الخفاء. قال بمكر.

اعذرنى في صراحتي! لكنكم دائماً ما تبحثون عن سبيل
للدخول إلى الحصينة!

نعم نحن لدينا حق قديم في الحصينة لكننا سنحصل
عليه بالتفاوض وليس بخطط دسيسة.

إذا لماذا دعوتموني أنا بالذات إلى هنا!

أريدك أن تبلغني عادل رسالة مفادها أنّ الإقليميين
يريدون حقهم الطبيعي في العيش بالمدينة.

هل هذا تهديد؟

بل هو إنذار!

وهل هناك فرق بين التهديد والإنذار؟ قلت باستغراب
طبعا يا سارة إن التهديد يعم الجميع، بينما الإنذار فقط
للإفراد الذين بيديهم سلطة القرار، نحن لسنا ظلمة حتى
نعاقب الجميع بقرار خاطئ من أحدهم خاصة أنه وصل
إلى السلطة بالغش!

لكن لماذا الآن؟ لماذا تريدون دخول المدينة في هذا
التوقيت بالذات؟ ألا تستطيعون الانتظار حتى تستقرّ
الأمر؟

هذه الأوضاع هي التي تدفعنا للتعجّل في هذا الأمر!
حدّق عبّاد في الأرضية الرخاميّة ثم أضاف:
اسمعي يا سارة إننا نمّر بنفس الأشياء التي تمرّون بها.
أي أشياء؟

الموت المفاجئ! الكثيرون ممّا فقدوا أحبّائهم.

ماذا؟ ولم يحدث ذلك؟ هل توصلتم إلى فهم ما يدور

كلا .. سوى بضع نظريات دون إثبات، لكن أسوار
مدينتكم ستحمينا هذا مؤكد هل تعين الآن كم هو مهم
لنا دخول المدينة؟ إنها مسألة حياة أو موت.

حسن سأنقل ذلك إلى عادل. قلت وأنا أهمّ بالنهوض.

ابقي هنا يا سارة كي نعمل على إيجاد الحلّ معاً، لم
تعودين بقدميك إلى سجن عادل. قال باستغراب.

لا أستطيع تركهم الآن، حتى لو كنت بالسجن لكن على
الأقل سأكون وسط عائلتي. ثم نهضت

وقمت بنقل هذه المحادثة إلى عادل الذي لم يقتنع
البتّة بكلام الإقليميين، وأمر بتجهيز الجنود بُغية القضاء
عليهم وإخراجهم حتى من السوق الشعبية فقلت له:

لعلك نسيت أننا نعتمد في تجارتنا على الإقليميين، هل
نسيت أنّ أغلب سكان الحصينة لا يستطيعون الخروج
منها!

آن أوان إنهاء هذا التهديد القابع جنوب المدينة،
يتربصون بنا فإذا ما غفلنا انقضوا علينا كالوحوش

الضارية. وأنا أعلم أننا لا نستطيع الخروج لكن أنت
تستطيعين وسنجد حلاً آخر.

اسمع، لا يمكنك القتال على جبهتين معاً! عليك أن
تفهم ما يدور حولك، رأيت أن تهادن الإقليميين حتى
يتسنى لك فهم معضلة الموت المفاجئ ومحاولة حلّه
أولاً!

هؤلاء يتربصون بنا منذ زمن علينا أن نتخلص منهم أولاً
إن أردنا النجاة بأنفسنا.

لقد فرقنا الخلافات أفلا يوحدنا الموت؟ ألا نتوحد لنفهم
ما يدور حولنا! عما قريب لن يبقى أحد على قيد الحياة.
قلت بجزع

لا تقلقي سنجد حلاً في أوانه! أتريين لم لا تصلحين لتكوني
والية المدينة؟ لأنك تستجيبين بسهولة للخوف ولهذا
دعاكي موقر الإقليميين إليه؛ لأنه عرف ذلك!

إذا كان كلام الإقليميين إنذاراً فإن الموت المحقق بنا
تهديد يطال الجميع وأرى أنه من الأولى مجابهة التهديد!

وكيف تقنعين الناس بترك عدو يرونه يتمدد أمامهم
ويقاتلون عدوا لا يرونه أيتها الذكية؟

هذه مهمتك أنت! ألسنت الوالي. قلت بغضب

أنت صادقة، أتركيني أقوم بمهمتي كما ينبغي! اذهبي

قام عادل بشن غارة على السوق محاولا القضاء على
الإقليميين ولكنه فشل فشلا ذريعا فقد علم الإقليميون
بنية عادل فاستعدوا له، ونصبوا له الشراك فقتل من قتل
وأسر من أسر، وكان من بين من أسر عادل نفسه! وفرّ
الباقون إلى داخل المدينة.

نزلت نتيجة الغارة كالصاعقة على أهالي الحصينة ونكّست
الأعلام ونسي الناس الموت المفاجئ بسبب الصدمة التي
أصابتهم وقد طُلب مني الذهاب إلى السوق لفهم ما يدور
هناك خاصة وأن الإقليميين يثقون فيّ! وفعلا توجهت إلى
هناك فدخلت إلى عبّاد موقر الإقليميين، فقلت:

أريدك أن تعلم أن ما حدث هو خطوة منفردة وغير

مسؤولة وليست إجماعا

ألم أقل لك أن عادل لن يستجيب! ماذا تريدان الآن يا سارة؟

إنها فرصتك لإثبات حسن النية! والإثبات لأهل المدينة أنكم تستحقون دخولها.

أعلم يا سارة! لكن لا تسأليني في الأسرى، فقد قتلوا اثنين من رجالي وسيكون مصيرهم الموت كما تفعلون أتم مع القتلة!

صدقني إن عفوت فسيرى أهل الحصينة صنيعك، وربما يطلبون منكم الانضمام إليهم في المدينة! انتفض قائما وقال:

العفو هنا سيجعلكم تتجرؤون علينا كلما أردتم، بالإضافة إلى أن قومي يبتغون القصاص ولن يقبلوا غير ذلك! فكَر قليلا ثم قال:

لكن إكراما لصداقتنا يا سارة سأهديك أحد الأسرى، اذهبي إلى غرفتهم وفكّي وثاق من تريدين منهم، وهو حرّ يعود معك إلى بيته.

وعندما رأيت إصراره، آثرت أن أنقذ واحدا من الأسرى،
وفعلا ذهبت إلى الغرفة المجاورة لأختار أحد الأسرى،
فرأيت أربعة يجلسون على الأرض مكبّلين بالأصفاد!
اقتربت منهم فرأيت عادل وصدمت حين رأيت حبيبي
سالم يجلس بجانبه، يا ألهي إنه سالم خطيبي وحيي الأول
والأخير فسمعت صوتا من داخلي "هيا فكيه فكيه".
حينها رجعت إلى موقّر الإقليميين وطلبت منه مهلة
للتفكير فوافق وقال:

لديك أربع وعشرين ساعة فقط!

عندئذ عدت إلى المدينة وقصصت على أهلها ما حصل
فأجمعوا كلهم أن عليّ أن أختار عادل وكانوا يقولون في
ذلك:

إن لم يعد عادل ستتهار المدينة بسبب تنازع العائلات
على الحكم وسيعمّها الخراب.

أشعر بأني أريد خنق عادل بكلتا يديّ بسبب غبائه الشديد
لقد قادني إلى وضع لا أحسد عليه، لكن لا! سأختار حبيبي
لن أعيش مع فكرة أنني تركته للموت!

الحسم بالتفكير حرب شعواء وأمواج هوجاء لن تصل
قاربي إلى شاطئ سليمة، والحسم بالمشورة محسومة
ومجروحة فهي غنيمة للكل خيانة لقلبي. أنا لست امرأة
خارقة أنا ضعيفة أرتجف وأكاد أنهار، أنا لست منقذة
الحصينة ولا أريد تمثالا على ميدان الصنوبر أريد فقط
العيش دون ندم!

سأنتمي لقراري كما أنتمي لاسمي وسأعلق في خيارتي كما
علق الایمبوت في غرفهم سأغدو حبيسة قراري وندمي
سيكون ندمين، ندم للتطهير وندم لدوسي على قلبي! إني
أحسد الأطفال فهم يتخذون قراراتهم بصلابة ودون تملل
ولا تذبذب، لقد قيل أنّ الندم من صفات الشعر الأبيض
فما به يحاصرني رغم صغر سني خذوا مني يا أهل
الحصينة! هذا زعيمكم عاد إليكم فلا تفجعوني فوق
فجعي.

دخلت إلى غرفة الأسرى ودموعي تنسكب على وجنتي
ففككت وثاق عادل وتوجهت إلى سالم قائلة:
سامحني يا حبيبي! سأبقى أحبك ما حييت.

ثم قبلت جبينه وخرجت فرأيت عادل يدلك أثر الأصفاد
على يديه وقال:

أشكرك على اختياري.

هذا من أجل سكان الحصينة ليس لأجلك لو عاد الأمر
لي لكنت من المفسّقين الآن!

وبصقت عليه ورحت أركض حتى قفزت فوق سريري في
غرفتي وحشوت وجهي في مخدتي ورحت أنتحب كالصغار!

ستبقى في قلبي غصة وقصة لم تنتهي، قصة حب لم
تتكمّل لم أبح فيها بكل شيء! كتاب يطوى لكنه سيبقى
ككتلة جاثمة على صدري تمنع الشهيق والزفير، جمل لم
تخرج للواقع ستظل عالقة بلا شكل في الخيال! تطير
وتطير تبحث عن عاشق فلا يقبلها أحد لكونها مغطسة
بالخيانة.

الفصل الثالث

آه من اللوم! لا مسكّن له ولا مبطل يبدأ بالانفراد الشعوريّ بالذنب وينتهي بالاختيار المؤدي للشلل الحركيّ، دوامة إحصار يفتت الأعضاء المتماسكة ويدور بك دوراناً سريعاً حتى تنقياً أحاسيس للراحة عرفتها يوماً ويستبد بالجسد وحده! لا تظنوا أنني ألوم نفسي عما فعله عادل حين أغار على الإقليميين بتهور، كلا! إني ألوم نفسي لأنني من أوصلت عادل إلى ولاية المدينة قبل سنتين من الآن! أما كيف حصل ذلك فاحكموا بأنفسكم!

كانت مدينة الحصينة محاطة بسور عظيم يفصل المدينة عن محيطها، وكانت تسكن فيها أربع عائلات كبيرة تقام فيها مراسم كل أربع سنوات تدعى " مراسم الولاية " يتنافس فيها مرشح من كل عائلة، والفائز تحكم عائلته المدينة للفترة القادمة! ماذا تتوقعون؟ نعم لقد قدمت نفسي عن عائلتي آل بيجاد وتقدّم عادل آل حنين الذين يقطنون بجانب السوق الشعبية من الجهة الجنوبية،

وتقدّمت عطا ف آل عوني الذين يسكنون الجهة الشمالية الشرقية، وأخيرا حازم آل طل المجاورين لآل عوني.

كان الهدف من مراسم الولاية هو إضاءة المنارة الغربية ومن يكون الأول في ذلك يعتبر الفائز!

السيد ظافر آل بيجاد موقّر من عائلتي جاء لزيارتي:

كلي ثقة يا سارة أنك ستخدمين عائلتك بشكل يدعو للفخر.

طبعاً يا سيد ظافر! سوف أقاتل بشراسة.

لكننا لا نريدك أن تقاتلي بشراسة!

ماذا تقصد؟

نريدك أن تخسري في منافسة الولاية!

أخسر؟ أسمع نفسك!

اسمعي يا سارة .. نحن تجار لكننا لا نستطيع تجاوز أسوار المدينة؛ لذلك فإنّ أعمالنا تعتمد على الإقليميين الذين يسمح لهم بالدخول إلى السوق الشعبية فقط

وكلنا نعلم أنهم يحاولون منذ زمن الاستيطان في
المدينة!

لم أفهم! ما علاقة ذلك بالمنافسة؟

رگزي معي! إذا حكمنا المدينة سيتعين علينا اتخاذ
القرار في مصير الإقليميين فإذا وافقنا على استيطانهم
مدينتنا سنكون ككومة قش من تحتها سيل جارف
لأنهم كثيرون

لكننا نستطيع أن نرفض كما فعلنا من قبلنا!

صحيح .. لكن عندئذ سيعاقبوننا في مصالحنا وفي
تجارتنا وسنخسر أملاكنا لذلك أفضل أن تتحمل عائلة
أخرى مسئولية القرار.

الآن فهمت لماذا لم ينافسني أحد من عائلتي في الترشح
على تمثيلها! وعلى ما يبدو فإنهم قد سُروا لَمَّا رأوا فتاة
تتقدمهم فقد تيقنوا أنّ ذلك يقربهم من الخسارة!

اعلم بشكل قاطع لا يقبل التأويل أنك إن طلبت من
أحدهم أن يخسر فقد خسرتة هو، ولو كانت خسارة من
أجل الربح! لأكون دقيقة ستخسره إن طلبت منه الخسارة

ولم يوافق على ذلك لكنه إن وافق على ذلك فقد خسر نفسه للأبد! لا تقبل الخسارة أبدا ولو تمثيلا أو إحياء.

صدّقني إن العيش مع ظنّ وأمل أفضل من العيش مع حقيقة وخيبة. يخطر ببالي أن أخرج رأسي من النافذة وأصيح: هل هناك أحد آخر يريد أن يهديني الخيبة؟ هل من أحد آخر يريد مفاجأتي بحقيقته؟

لكن لعلمكم لو جاء الموقرون الأربعة ولو جاء سكان الحصينة كلهم ما أعطيتهم الخسارة عن رضى حتى ينتزعوها مني انتزاعا! عنيدة أنا! نعم عنيدة جدا.

أعلن عن البدء في منافسة الولاية عند البوابة الشرقية! رحت أهرول تارة وأركض تارة أخرى إلى المنارة التي تقع في أقصى غرب المدينة حين وصلت إلى هناك تقدمت تلقاء الباب الفولاذي، وكان موصدا وعليه ورقة مكتوب فيها بخط كوفي يضيف غموضا " سيحكم من لا يخاف". كنت واثقة من أنّ هذه الجملة تحوي سرّ الولوج إلى المنارة، وفجأة ظهر رجلين عظيمين ملتئمين:

من أنتما؟ لستما ضمن المراسم!

فقال أحدهم بحزم:

لا .. لكننا هنا لضمان نجاحك! عليك أن ترافقينا إلى
السوق الشعبية.

لماذا أنا بالذات؟ ومن أنتم أصلاً؟

لدينا أوامر باصطحابك إلى السوق بالقوة إذا اضطررنا!

لم أملك الخيار! اضطررت إلى مرافقتهم إلى السوق
الشعبية وقد سلكننا إلى هناك طريقاً فرعياً محاذياً للسور
الغربي ثم انعطفنا إلى الشرق ومشينا بترقب حتى وصلنا
إلى السوق الخالي تماماً في هذا اليوم. التقيت هناك بالسيد
عبد موقر الإقليميين (المستوى الثالث) فقال:

لقد تخيلت أنك أطول مما أنت عليه.

لماذا أحضرتني إلى هنا؟

سأدلك على مفتاح المنارة!

لماذا أنا بالذات؟ وماذا تريد في المقابل؟

أنا أعرفك لقد حاولت أن تنقذي فتاة من الإيمبوت في
السابق، وهذا يدل أنك لست متعصبة كباقي

المنافسين. ونحن نريد إن نجحت أن تسمحو لنا
بالعيش هنا!

لو كنت تعرفني جيّدا لعرفت أنني لن أصل إلى الحكم
بالغش!

هذه حماقة إنك إن خيّرت بين الأحبّ والأفضل عليك
أن تختاري الأفضل، لا شك أن الأفضل هو تغيير قوانين
المدينة الدموية. إني أوافقك الرأي أن الغش سوء، لكنّه
سوء قليل سيعود بخير عظيم على جميع سكان
الحصينة! فكّري في الأمر.

إنّ اختياراتنا هي تفاصيل وجوهنا وأنّ أخطائنا هي ما
تُشوّه خلقتنا، نحن البشر نتحول لمسوخ مع الزمن من
كثرة الأخطاء! إني أخاف من يوم يجيء لا أستطيع النظر
فيه إلى وجهي في المرأة.

إني أخاف الإحسان إلى ضبع، أتذكّر قصة قديمة جدا عن
أعرابي أنقذ ضبعا من صائديه وأحسن إليه وأغدق في
العطاء فلما تحسّن الضبع واستردّ عافيته قام بافتراس
من أحسن إليه، ولا يمكن لوم الضبع فإنه لا يستطيع
إبطال صفة متأصلة فيه ولو أغدقت عليه جبال من

إحسان! إني أخاف الإحسان إلى لئيم! فماذا لو كان عبّاد
يخطط ليفتك بالمدينة وأهلها إذا ما سنحت له الفرصة
وأنه حين رأي حسبني فرصته الذهبية؟

اسمعي يا سارة! الآتما قيدت خروجنا من المستوى
وأتمم قيدتم دخولنا ألا تكفي قيود الآتما؟ قال بانفعال!
بإمكانك أن تقول عني حمقاء أو بلهاء لا يهمني لكنني
أستغرب لما انفرد كل مستوى بنفسه وعادى باقي
المستويات؟

لأن لكل مستوى خاصية والخواص لتحافظ على نفسها
فإنها لا تتداخل، هل يمكنك خلط الماء والزيت؟
مستحيل! أنا أفهم خوفهم منّا لكن ذلك لا يُلغي حقنا
في دخول المدينة.

سكت هنيهة ثم قال:

أتعلمين أنّ أول قانون سوف يلغى هو قانون التفسير؛
لأنكم لن تستطيعوا تفسيرنا فنحن الإقليميون حدود
مستوانا بعيدة جدا عن أنظاركم.

بما أنّ مستواكم متسع بهذا الشكل فلماذا لا تبحثون
عن مدينة أخرى!

في حين كنا نتجول في الأرض أقبل أهل المستوى الثاني
على بناء المدن بعد الجائحة العظيمة، وأصبحنا أغنياء
لكن دون بيوت! وكما ترفضنا الحصينة ترفضنا باقي
المدن.

لا أدري ماذا أفعل، وأشعر بالدوار من التردد! وأخاف من
كلام الناس فكم رموا أشخاصا بما ليس فيهم وكم لقبوا
أشخاصا بسبب حادثة واحدة يتيمة لخصوا بها حياته كلّها.
كيف لا وقد أطلقوا فيما مضى على أحد النحويين لقب
الفيل وهو لقب ورثه عن أبيه وأطلقوا على عالم لقب الفأر!
وهكذا فإن الناس يتلذذون في جعل الشخص أضحوكة. ما
هو أكيد أن اتفائي مع الإقليميين سيجر عليّ أقاويل الناس
في أحسن الأحوال والتفسيق في أسوأها.

لكن رغم كل ذلك فقد قمت بالاتفاق مع الإقليميين طمعا
في الوصول إلى السلطة! فسألته قائلة:

هناك أحجية عليّ حلها، سيحكم من لا يخاف! لا شك أنّ
لذلك علاقة بالمفتاح.

طبعاً! إن من سيحكم عليه أن يستخرج المفتاح من
أكثر مكان مخيف في المدينة!

تقصد نفق الجن؟

نعم .. سيرافقك إلى هناك أحد جنودي الأشداء،
سيراقبك من بعيد ولن تشعرى بوجوده!

نفق الجن هذا مكان مخيف يقع في وسط المدينة بعد
عدة أميال من ميدان الصنوبر وهو نفق قديم جدا يعود
إلى آلاف السنين وهو نفق مسكون بالجن كما يقال!

لم يخطر في بالي أنني سأنزل في يوم من الأيام إلى نفق الجن،
لقد تحولت المهمة إلى تحدّ قاس للذات دائماً ما كان لدي
خيار التنازل وسلوك طريق أكثر أمناً وأكثر وضوحاً
وتحكماً، لكنني الآن لن أتراجع فقط لأنني أريد هذا الأمر
بشدة، ألم أقل لكم أنني عنيدة جداً لا ترضيني الحلول
الوسطى وهو ما جعلني أتفاجئ من نفسي فقد كبرت
على أساطير وحكايات تحكى عن هذا المكان العجيب.
لكنني الآن بثقة شديدة أواجه مخاوفي بسبب رغبتى
الشديدة وعنادي المستميت للفوز!

دخلت إلى النفق المظلم المنحدر نحو الأسفل فتملكتني
قشعريرة، تابعت قليلا فسمعت جلبة وضوضاء وأصوات
فحيح فتجمدت في مكاني ثم ما لبثت أن رأيت حازما يهّم
بالخروج فصدم كما صدمت وقد كان حازما المرشح
المثالي للفوز فهو عسكري من الدرجة الأولى فقلت
باستغراب:

كيف عرفت بمكان المفتاح أيها الغشاش؟

فخرج حارس الإقليميين من الخلف وقال:

أعطها المفتاح حالا وإلا قتلتك!

فقال حازم باستغراب:

تتعاونين مع الإقليميين أيتها الخائنة، سيكون مصيرك
التفسيق.

عندئذ اقترب الحارس من حازم ولكمه على وجهه فأغمي
عليه فأخذ منه المفتاح وأعطاه لي ثم قال:

يجب أن يموت لكيلا يشي بنا!

لا مستحيل، نحن لسنا قتلة!

لكنه أصدّ على ذلك فرفع صخرة كانت على الأرض وهمّ
بتهشيم وجه حازم بها، فجأة تلقى طعنة من الظلام
فتراجعت إلى الخلف ثم تلقى طعنة ثانية وثالثة حتى
هوى على الأرض صريعا ثم اقترب الخيال مني فأذ به
طارق أحد سكان المدينة المختفي منذ فترة طويلة، وقد
عرفته على الفور فقد كان خطيب صديقتي ياسمين!

طارق .. طارق هذا أنت؟ أين اختفيت طيلة هذه المدة؟
لقد سحرت هنا فلا أستطيع الخروج من هذا النفق أبدا
.. أخبريني كيف هي ياسمين؟

يا آلهي ماذا أخبره وكيف؟ أنه حبيته قد ماتت وأنّ حازم
الذي أنقذه لتوّه من هلاك مؤكد هو من أمر بتفسيقها. هل
إخباره بجزء من الحقيقة عادل! هل إنقاذ نفسي من
شخص مسحور في نفق الجن مطلوب أم أنّ الحقيقة تقال
مهما كانت العواقب!

أهذا ما تريدينه يا سارة أهذا هو التقدم الذي تنشدينه أولا
غش ثم كذب! لم أدر حينها ماذا أفعل فقد كنت مستاءة
من نفسي ولم يساعدني التعلل بأني مجبرة على التخفيف
من ذلك!

هل حدث مكروه لها من بعدي؟ لم لا تجيبين!
لقد قاموا بتفسيقها بعد اتهامها بممارسة السحر.
عندئذ انهار طارق ووقع أرضاً وأخذ يبكي وينتحب.
لقد انضمت إلى المنافسة لأجل ياسمين إني أريد أن
ينتهي شلال الدم بحق الايمبوت. لذا عليّ أن آخذ
المفتاح من حازم.

أليس هذا حازم آل ظل مسؤول الحراس لا شك أنه
مسؤول عن تفسيق ياسمين، لكنه لن ينجو الآن.
قام طارق وسحب السكين من جثة الإقليميّ واتجه إلى
حازم ورفعها وأراد أن يهوي بها على صدر حازم فصاح
حازم:

هي التي وشت بياسمين! هي التي وشت بها.
لكن صرخة حازم لم تفي بالمطلوب فقتله طارق بطعنة ثم
قام إليّ واقترب مني حتى تأكدت بأنه لا مجال للهرب
وقال:

اسمعي سأبقي على حياتك بشرط واحد عليك أن
تعديني به.

ما هو؟

عليك أن تسلمينا حكم الحصينة وسوف نحكمها من
هنا من هذا النفق! هل توافقين؟

لا شك أن الشجاعة في هذا الموقف انتحار، عليّ أن أنقذ
نفسي وبعدها لكل حادث حديث لكن كما سبق وعرفتني
فقد شعرت بالضييق لكوني اضطررت إلى الوعد الباطل آخر
ما ينقصنا هو حكم الوحوش من تحت الأرض!
حسنا .. أعدك بذلك.

عندئذ اقترب مني وأعطاني المفتاح الذي كان بحوزة حازم
ثم أرشدني إلى طريق الخروج وقبل أن أعبر من فتحة
الخروج قال:

إياك أن تخلفي الوعد وإلا حلت عليك لعنة ستفنيك
وتفني عائلتك.

قالها بصوت خشن لا يشبه صوت طارق فخرجت مسرعة
دون أن التفت إلى الخلف ورحت أهول إلى المنارة!

لعلك تتساءل الآن كيف استطاعت فتاة الحصول على مفتاح المنارة، لكن عليك أن تعلم أنني قد وضعت غاية نصب عيني ولا أدري وأنا ذهبت للغاية أم أنني جذبت إلى الغاية إلا أنني قريبة جدا من تحقيقها. حين رأيت صديقتي ياسمين تفسق أمامي أقسمت أنني سأدافع عن الایمبوت إكراما لها والآن بعيدا عن الوعود المقطوعة والاتفاقيات المبرمة فإنني قد خططت لتسليم الحكم إلى الایمبوت. لطالما عانى الایمبوت منذ سنين عديدة وهم يتجرعون مرارات المآسي لعلني أفعل ذلك تعبيرا عن أسفي لصديقتي ياسمين. وماذا إذا حكمنا الایمبوت فهؤلاء قوم قد جربوا الظلم لذلك سوف يتحروا ألا يظلموا أحدا. لذلك فقد قررت أنه إن لم يستطع الایمبوت الوصول إلى الحكم فسأوصل الحكم إليهم.

عليّ أن أعترف أنه ليس هناك أسوء من إثارة قضايا حساسة مغلقة حتى أتي أحس أنه غباء من الصديق ودهاء من العدو، فإنني في طريقي هذا قد أثرت قضايا مؤجلة حيث الكل يطلب مكانه في الحصينة!

لقد هدأ غضبي وبدأت أرى بوضوح ما اقترفت يداي من
وعود للإقليميين وسكان النفق والايمبوت وعلى ما يبدو
هذا الاحتكاك سيؤدي إلى تصادم قاتل وغايتي التي كانت
تحسين أحوال الایمبوت ستؤدي إلى زعزعة المدينة كلها.
أحس أنني كحصان وضعت غمامات على عينيه وراح
يعدو في سباق لا هو استطاع أن يرى ما حوله غير
المضمار ولا هو سيفوز بالجائزة أحس أنني قيدت نفسي
باتفاقيات لا تعبر عن شخصيتي وإنما عن غايتي، هل
غدوت أمة لغاية اتخذتها في لحظة غضب. يكفيني ظلما
أنی رجحت كفة غايتي في كل مكان، ليس هذا فقط أشعر
أنی الآن كذبابة عالقة في شباك عنكبوت تنتظر تهافت
العنكبوت ولعابه يسيل أقول لكم وبكل صدق ستُراق
الدماء في كل مكان، كل هذا بسبب جهلي وإخلائي بنظام
معمول به منذ عشرات السنين.

أرجوك ليس الآن! الدعة والسكينة سيدمرانني واثقة من
ذلك، أنا بحاجة لقليل من غضب يكفي لأنهي ما بدأت،
يسير بمحاذااتي شخص يقترب ويقترب فتبين أنه والدي،
فاحتضنته:

أنا بحاجة لك يا والدي!

لقد طال غيابك! لم تكلميني منذ ماتت صديقتك
ياسمين.

أرأيت أني إن أخطأت متى سيتعين عليّ الرجوع
والاعتذار ومتى سيتعين عليّ المواصلة؟

الخطأ مسئوليتك أنت! وأنت من عليك تصحيحه
الآخرون يا عزيزتي لا يصححون الأخطاء بل يستغلونها!

وصلت إلى المنارة وبقي عليّ استخدام المفتاح لفتح
وإضاءة المنارة واستلام المنصب الجديد لكن فجأة ظهر
عادل آل حنين وبجانبه عفاف آل عوني فقال عادل:

أعطني المفتاح يا سارة!

آه .. إذا أنت من الجبناء الذين ينتظرون الناجين
فيُجهزون عليهم.. عادل آل حنين يخاف من نفق الجن!
لا يهمني ما تقولين! ما يهمني هو إضاءة المنارة.

وهل تريد أن تحكم يا جبان وأنت يا عطاف كيف
تنضمين إليه وأنت تعلمين أنه سيتخلى عنك بعدما
يضئ المنارة!

فجأة أمسك عادل بعطاف ووضع سكينه على رقبتها
وقال مهددا:

إما تعطيني المفتاح وإما ستكونين السبب في موت
عطاف.

ما الفرق كلنا حكام سيئون، الفرق يكمن في التعلق! وفي
القدرة على التنازل، لكن لا تلقي بالا لذلك فالروتين كفيلا
بجعل كل شيء أقل من العادي أنا لست متعلقة في
شيء ولا أطمح في حكم وأيما يكن هو الحاكم لن يسكن ليلا
ولن يهنئ نهارا بسبب الأطراف المتداعية على الحصينة
حسنا تعديل بسيط على غايتي، إكراما لصديقتي ياسمين
لن أنقذ المدينة! لكنني سأنقذ فتاة من الموت المحتوم!
حسنا اتركها وخذ المفتاح!

ألق إليّ بالمفتاح أولا.

ألقيت إليه المفتاح فتركها وانضمت إليّ وراح عادل يهرول إلى باب المنارة ففتحه ودخل ثم وبعد عدة دقائق أضيئت المنارة فتجمع الناس وكلهم يصيح من هذا؟ من هذا؟ وهكذا حصل عادل آل حنين على حكم الحصينة.

لقد انتهت مراسم الولاية والاختبارات! كسبت فيها ثقة أهل المدينة فقد نظروا إلى إنقاذي لعطاف التي لا تمت لي بصلة بإعجاب وأما أنا فقد قلت لنفسي: هنيئًا لي لقد استعدت نفسي وقد ساعدني غضبي عند تفسيق صديقتي إلى ترجيح كفة سمات شخصيتي وإبرازها والتخلص من التذبذب ومن الغايات البراقة الخداعة.

أما الآن فلا أدري إن كان ما فعلته صوابًا أم لا، فبطريقة أو بأخرى فإن إنقاذي لعطاف وتمكين عادل كان سببًا في موت خطيبي سالم. أنا أعلم أنه لا شيء سيعود كما كان! حتى الخطأ ينسى ويبنى عليه فيختفي من أعين الناظرين لكن تبقى هناك غصة في القلب كلما تذكّر الإنسان لكن الأمور بدأت تختلف هناك خطر محقق بالجميع، شيء ما يقترب من الجميع أشعر به بكل حواسي. إنه مخيف ويحدّق بنا بعنجهية دون أن تطرف له عين لقد بدأت

ظاهرة الموت المفاجئ ثم أخذت تزداد وتتسع والخوف
ينتشر انتشارا.

في صبيحة اليوم التالي من إنقاذي لعادل من أيدي
الإقليميين وموت سالم المفعج، أرسل عادل حراسه
فاعتقلوني من منزلي واقتادوني بعيون ذاهلة منتحبة كجثة
هامدة ثم أودعوني السجن! وحين قدم عادل فقلت:
أهكذا ترد الجميل؟ قلت بصدمة.

إن إنقاذك لي لهو صنيع سيبقى في رقبتي ما حيت،
لكن عليك أن تقضي محكوميتك بسبب رفضك أمرا
مباشرا من الوالي وبسبب إهانتك لهيبة الولاية وقانوننا
واضح في ذلك!

فقلت بحزن وبصوت خافت مخنوق:

كان هناك فأر طموح جدا بنى برجا عاليا من طين أثار
إعجاب جميع الحيوانات وحين ظنّ أنه استقر على
القمة تهافتت عليه النسور والصقور ومزقوه شرّ تمزيق!
إنّ طموحه جعله فريسة سهلة ولقمة سائغة.

سأتجاهل ما قلته! عطفنا وتخفيفا بسبب فقدانك
المربيع لخطيبك!

قضيت يومان طويلان في السجن، نسجت فيه أفكار
المشوشة حبلا متديلا من السقف، ترتعد فرائصي خوفا
من قلة الأفكار المكافئة لفكرة الخيانة لقلبي وأشعر
بوحدة مباغته و متربصة تنقّص انقضا جهارا دون
خشية ونهارا دون خجل! لكن النسيج المमित لم يكتمل
فقد ظهر فيروز آل بيجاد، أصلع الرأس وهو من عائلتي
وكان نائب عادل فحرّني من القيود وقال:

أنت حرة بإمكانك الذهاب الآن!

هل حدث شيء يا فيروز؟

لقد وجد عادل مقتولا في بيته هذا الصباح!

من الفاعل؟ سألت مندهشة.

لا نعلم بالضبط! لكن التحقيقات تشير إلى أحد أفراد
الايمبوت. اسمعي لا شك أنك خالفت القانون، لكن
صنيعك عند إنقاذ عادل بدل خطيبك لابد أن يكافأ
اذهبي فأنت طليقة!

توجهت إلى منزلي وهناك كانت تنتظرنني عطف آل عوني
وطلبت أن تحدثني على انفراد فدخلنا إلى الغرفة وأغلقتنا
الباب فقالت:

أنا قتلت عادل! لإنقاذك من السجن!

ماذا كيف سوّلت لك نفسك أن تفعلني شيئاً كهذا!
أجنت؟

أنا فقط أردت أن أرجع لك إحسانك عندما أنقذتني منه
يوم المنافسة على الولاية! وقد فعلت، فها أنت حرّة
طليقة مرة أخرى!

يا إلهي .. أنت لا تدرين أية مصيبة ستحلّ على الحصينة.
أي شيء سيحل كان سيحل بشكل أسوأ بوجود عادل،
لا شك أن الحصينة أفضل دون عادل! لقد ظننتك
ستفرحين بخروجك من السجن!

كل شيء ينهار يا عطف! الحياة التي عرفناها حتى الآن
ستتغير!

ما هذا التشاؤم يا سارة؟

ألا ترين ما يحدث الموت المفاجئ في ازدياد! وأطراف
كثيرة متربصة للمدينة المتداعية وما ينقصنا الآن هو
جبهة داخلية.

حسنا يا سارة، يجب ألا نلتقي حتى لا يشتبه بنا أحد.

بنا! بل بك! لست شريكك في ذلك!

حسنا، لكن تذكّري أنّ هذا كان لأجلك.

الفصل الرابع

لقد تمّ اتهام الایمبوت بقتل عادل! وهذه ليست المرة الأولى التي يحصل فيها ذلك، لكن هذه المرة فإني متأكدة من براءتهم من هذه الجريمة. لقد عادت بي الذاكرة إلى الورا قبل ثلاث سنوات حين كنا نسكن في الطابق الرابع كان جارنا سميح عبد الحكيم رجلا شرها سميئا، دائما ما تراه يلبس فانيلا بيضاء تشعر أنها تعاني لتحافظ على هيئتها خاصة فوق كرشه العظيم كان من حبيسي البيوت (الایمبوت)، دائم الجلوس على مدخل غرفته المحاذية لسلم العمارة يتكلم مع هذا ويسأل ذاك مما يثير حفيظة والدي وغضبه حيث كان يلقيه بالتافه؛ لأن كلامه كان كثيرا لا يقدر ولا يؤخر أتذكر حين تلقينا منه دعوة لحضور زفاف ابنه ناصر إذ نشب جدال بين والديّ لأنه رفض في البداية حضور الزفاف:

إنه ليس صديقنا! حتى يدعونا لحفل زفاف ابنه!

ما بك؟ أنت أقرب الجيران عليه! ماذا سيقول الجيران
عنك؟

أنت تعلمين أنني إن ذهبت فسيظن أن مغارة علي بابا
قد فتحت له، وسيبدأ بطلباته الوقحة كما يفعل مع باقي
الجيران!

إن الآتما وتقسيما العشوائي هي من جعلته يمدّ يده
للناس، كان من الممكن أن تحدث معك أو مع أي
شخص آخر!

لقد وافق والدي على مفضّ إذ كان يعتقد أن مستواه هو
المستوى الحساس حيث يجذب إليه الطامعين من
المستويات الدنيا ومن المستويات العليا. بعد عدة أيام
اجتمع الجيران على صراخ سميح الذي وقف عند مدخل
غرفته مهددا عائلته بأنه سوف ينتحر بسبب وضعة
المادي الصعب فصاح به أحد الجيران:

ارجع يا سميح .. سوف نساعدك على تخطي الأزمة،
عليك أن تحافظ على حياتك من أجل عائلتك.

وفعلا رجع سميح وفي اليوم التالي حضر أحد الجيران إلى بيتنا يطالب والدي بمبلغ يعين به سميح فاضطر والدي للمساهمة ثم قال لوالدي مغاضبا:

ألم أقل لك أنه تافه مبتز!

بعد عدّة أسابيع وعلى مدخل شقته، أخذ سميح يصيح ويصيح كعادته الأسبوعية، لكن هذه المرة لم تكن كما كان في السابق فلم يتوقف أحد عنده يرجوه ألا يقدم على حماقة تكلفه حياته. أصابته هيستيريا وأخذ يصرخ:

لن أكمل هذه الحياة المقرفة .. سوف أفسق الآن

ما إن أكمل جملته حتى انزلق متخطيا مستواه، والآن لا تميز الأخطاء عن باقي الفسوق فوقع ميتا في الحال وكانت هذه نهاية سميح. إن فكرة أنه مات بالخطأ تشعرني بالرعب! كان عليه أن يحافظ على مسافة صغيرة للمناورة فإذا أخطأ لا يكون الخطأ كارثيا هكذا. فجأة انتبهت من الغوص في ذاكرتي على صوت صراخ يعلو ويعلو في الحارة، فخرجنا لنستطلع الأمر فإذا بحشد غفير من الناس يتجمعون وينوون الانتقام من الایمبوت وقفوا أمام

العمارة حيث علموا بوجود أحد من الایمبوت. صاح بهم
والدي:

آل بیجاد یرفضون التعرض للایمبوت من آل بیجاد
فصاح أحد المتجمهرین:

تکلم عن نفسك! أنا من آل بیجاد وأؤمن أنّ علينا
القضاء على هؤلاء الشیاطین فی الغرف!

فعلا توجهوا من فورهم إلى غرفة الایمبوت وقاموا
بتفسیقه وسط هتافات المتجمهرین فقال أحدهم:
لا یجب أن تتوقف حتى نفسق جمیع الایمبوت.

یا إلهی إنّ الایمبوت یدفعون ثمن جريمة لم یرتكبوها!
هؤلاء المتجمهرین عمّیت عیونهم وغشیت بصائرهم فلا
یرون إلا الانتقام ظنا ودون دلیل أو شاهد ما ذنب هؤلاء
القوم التي أجبرناهم بالقرعة ألا یرجوا من غرفهم!
لم أتمالك نفسي ولن أصبر حتى تقع ضحیة أخرى
فوقفت أمام المتجمهرین فقلت:

توقفوا الآن .. ماذا دهاکم؟

فقال أحدهم:

ابتعدي عن طريقنا .. ألا تعلمين أن المدافعة عن الكبائر
كبيرة تدفع بك إلى نفس المصير!

لكن منذ متى نعاقب مستوى كامل بفعل واحد من
أحدهم؟

هذه ليست جريمة عادية! لقد قتلوا الموقر عادل.

ليسوا هم .. ليسوا هم

لقد أنقذتني لتوها من سجن ما كنت لأخرج منه، لكنني
لن أتحمل موت هؤلاء الأبرياء فصحت بهم:

إنها عفاف آل عوني هي من فعل ذلك!

صعق الجمهور الغاضب من هول الخبر، وكان ذلك كفيلا
ليوقفهم عن مسلسل القتل بحق الایمبوت ولو مؤقتا!
لكنني أحسست بألم يعتصر قلبي لأنني وشيت بمن
كان هدفها الوحيد إنقاذي من انتقام عادل. لكنني لم
أتحمل موت الأبرياء ظلما وزورا.

إن الوشي لغاية سامية لا يجعل منها فعل محمود براق،
ثم ما الفرق بين الوشي لغاية سامية أو وشي لغاية
خبثة! كلها أخذ ما ليس لك لتعطيه لمن لا يستحق وما
كنت لأفعل شيئاً من هذا القبيل لولا حماقة المتجمهرين
المنقّضين على الأبرياء يهتكون خلواتهم ويرهبونهم
ويفسّقونهم!

إن ما قمت به كان فعل سيء لإيقاف فعل أسوء،
والأسوء من الفعلين هو التجاهل وعدم اتخاذ أية خطوة
لإيقاف هذه المجزرة.

إن الإحسان المكبّل للإنسان والخجل الحاجب والاتفاقيات
التي جعلنا كالرقيق يجب ألا تحترم لا يعقل أن يمنعني
ذلك من إنقاذ أنفس بريئة لا يمكن أن نطمس إنسانيتنا
بهذه الطريقة المقيتة!

كل شيء يدعو للغرابة هذه الأيام، من كان يصدق أننا
سنواجه مصيبة كهذه لقد كان يبدو كل شيء متماسكا
ومنيعا من الانهيار، انظر إلى النجوم كل في موقعه، هذا
الدب الأكبر أراه رغم ضوء الشارع المشوش، هناك لا شيء
يدعو للاستهجان، إذا ما حصل لكوكبنا.

جاء إلي عبّاد موقر الإقليميين يطلب أن تتعاضد ونوحّد
قوانا من أجل مواجهة الخطر الذي لا نعلمه في حين
ينشغل الجميع في صراعات فيما بينهم متجاهلين هذا
الخطر!

اسمعي يا سارة .. الأمر في غاية الخطورة علينا أن نوحّد
جهودنا ونشكل فريقا.

حين علم فيروز نائب عادل بتواجد عبّاد بالمدينة، قدم
بسرعة وتكلم مع عباد وأمهله عدة دقائق ليغادر وإلا
سيقوم باعتقاله .. في هذه الاثناء حدث ما لم يكن في
الحسبان! ملأ الصراخ والعيويل جميع الحارات .. لقد سيطر
الموت على الجميع وعلى ما يبدو فلن يغادر أحدا، لقد بدا
الأمر وكأن يوم القيامة قد بدأ، فجأة تلاشت جميع الفوارق
في هذا البيت وتأجلت جميع المشاكل على الأقل حتى
نفهم ما يحصل حولنا. قررنا ثلاثتنا العمل على فهم ما
يدور حولنا وكما يبدو فإننا لا نملك من الوقت إلا القليل!
بينما في هذه الأثناء لا نعلم من أين نبدأ ولا إلى أين نتجه!

أتذكر اندفاعي للمغامرة منذ عدة سنوات، لكنني لم
أتخيل مغامرة كهذه تكون فيها نسبة النجاح والنجاة

ضئيلة، لا شك أنّ هذا شيء يدعو لليأس. اغمضت عينيّ
وتذكرت حين كنت صغيرة كان لدي عصفور في قفص
بقي فترة ثم نفق فحزنت جدا لذلك فقال والدي:

هذه العصافير مصيرها النفوق لا محالة؛ لأنها لا تستطيع
العيش في اقفاص لفترة طويلة!

هل كتب علينا الاندثار بسبب عادات سيئة وما هي إلا
اقفاص مذهبة.

فوضى عارمة تجتاح الحصينة، قرع بابي شخص مجهول
ولما فتحت قال بأن هناك امرأة من الايمبوت تطلب
مقابلتي لحاجة ملحة جدا! ورغم معارضة كل من عبّاد
وفيروز وظنهما أن ذلك إهدار لوقت لا نملكه أصلا إلا أنهما
أصرا على مرافقتي لَمَّا رأوا مني إصرارا على مقابلتها.

خرجنا جميعا وسط بكاء الأطفال ووعويل الزوجات
الفاقدات وكلهم يهّم بالهروب والاختباء بلا جدوى، ووجوه
مرتعبة وعيون فاقدة للأمل منظر يُبكي الحجر! وصلنا إلى
غرفة المرأة فطرقت الباب ودخلنا وإذ بسيدة عجوز يعلو
وجهها الوقار، مطمئنة فقالت:

سارة! رد للجميل الذي قدمته لنا نحن الایمبوت،
سأساعدك لكي تفهمي ما يدور حولك! اسمعوا ما
أقول لكم، إنّ في المكتبة العامة رف للمكتب الممنوعة
التي لا يطلع عليها أحد عليكم أن تحصلوا عليها.
إنّ المكتبة العامة تبعد عدة كيلومترات حيث تقع في حي
آل عوني الوضع سيئ جدا في الخارج، الفوضى عارمة
والناس كالسيل الجارف ومتأهبون كالنحل حول الخلية
التي يخرج منها الدخان. وفعلا الدخان يخرج أعمدة في كل
المدينة والصراخ والشجارات في كل زاوية، إنها نهاية
العالم!

الفصل الخامس

بدأنا نتقدم بترقب باتجاه المكتبة العامة، فإذا بنا نرى جمعا من الناس متجمهرين أمام صيدلية للأدوية، فجأة سمعنا الصيدلي الذي يلبس روبا أبيضاً يصيح:

ارجعوا .. ارجعوا لقد نفذت جميع أقراص البروتيزولام!

كان شيئاً غريباً جداً، عندئذ توجهت إلى أحدهم بسؤال:

لماذا تحتاجون إلى تلك الأقراص؟

هذه الدواء يساعدنا على النوم، ومن ينام لا يموت موتاً مفاجئاً!

فجأة صاح أحد المتجمهرين:

وحش .. وحش أرجوكم أنقذوني.

جثا الرجل على ركبتيه، لكن لم ينفعه ذلك فأصابه هلع شديد وقام يركض دون أن يلتفت إلى الوراء.

فقال الرجل:

هذا الوحش سوف يطارده حتى يفسق نفسه خارج
البوابة الشرقية!

هذا ليس موتا مفاجئا!

قال عباد ثم أضاف:

هذا وحش يلاحق البشر ويدفعهم للفسوق!

عندئذ علّق الرجل قائلا:

هنالك طريقة وحيدة لتفادي هذا الوحش، وهو النوم.

لأنه من ينام لا يرى الوحش ولا يتأثر به!

فقال فيروز باستغراب:

لكن كم سينام الانسان؟ إنهم يؤخرون ذلك في النهاية

سيُقادون إلى نفس المصير!

عندما رأى الناس الرجل يركض بهلع شديد أصابهم

الجنون، وأخذوا يتدافعون إلى الصيدلية وعلا صراخهم

فأخرج الصيدلي بندقية ما إن لوّح بها في الهواء حتى هجم

عليه الناس وداسوه تحت أرجلهم وأخذوا يبحثون بجنون
عن الأقراص!

علينا أن نكمل ليس آمنة أن نبقي هنا. قال عبّاد.

تساءلت مستغربة:

لماذا لا يأتي الوحش للأشخاص النائمين؟

أعتقد لأنه لا تواصل بين النائم وبين العالم الخارجي!
قال عبّاد.

لحظة، نحن وقفنا هناك ولم نر ما رآه هذا الرجل الذي
فسق، هذا يعني أنه رآه وحده؟

تقصدين، أن الوحش في مخيلته فقط؟ قال فيروز

نعم أعتقد ذلك، أيا كان هذا الشيء فهو خطير جدا وهو
ما دفعه إلى الفسوق! مهمتنا الآن هي إنقاذ العالم!

حين كنا نمشي باتجاه المكتبة نظر إليّ فيروز مستغربا
وقال:

كيف آلت بك الأمور إلى هذه الأمكنة، أولا الاشتراك في
المنافسة ثم محاولة إنقاذ العالم؟

تقصد لأنني فتاة ويجب عليّ أن أبقى في المنزل؟
لم أقصد ذلك! لكن قليل منهن يشتركن في معترك
كهذا.

نحن لسنا عاجزات بل أنتم مخدوعون. قلت بثقة.

الفصل السادس

سرحت في ذاكرتي قليلا وتساءلت فعلا ما الذي قادني إلى هنا! محاولة إنقاذ العالم! أنا! إنني لم أخطئ لذلك؛ لكن كل شيء بدأ قبل أربع سنوات، حين كانت صديقتي ياسمين التي كانت من الایمبوت ستعقد قرانها على طارق من المستوى الثاني، وفي معظم الأحيان كان الناس ينظرون باشمئزاز لعلاقات من هذا النوع وكانوا يدعون أنّ مثل هذه الزيجات تكون للمصالح وليست من أجل الحب، وهذا ما كان يغضب ياسمين ويخرجها عن طورها وأصل ذلك يعود إلى قانون لم شمل المستويات، الذي ينص على أنّه في حال الزواج يُجمع العروسين معا في المستوى الأعلى. كانت ياسمين تؤكد لي أنّ الحب هو سبب ارتباطها بطارق وكانت تقول:

أن أحبس في غرفة واحدة أوسع لي من أن أحبس نفسي مع شخص لا أحبه.

كانت دائما تسأل طارقاً:

ماذا لو كان لم الشمل المستويات للمستوى الأدنى ..
أكنت ستبقى معي؟

وهل هناك أجمل من أن أقضي حياتي معك في نفس
الغرفة!

وفي أحد الأيام دون سابق إنذار اختفى طارق ولم تنجح
ياسمين في محاولاتها للتواصل معه وازدادت حالة
ياسمين سوءاً حين استلمت منه رسالة نصية يعتذر فيها
عن طريقته في إنهاء علاقته بها ويتمنى لها التوفيق وقد
حاولت تهدئتها:

إنّ طارق حالة فردية ولا يمثّل إلا نفسه لذا عليك أن
تواصلي حياتك قدماً.

أنت لا تعلمين شيئاً عن هذا العالم! إني أشك في امرأة
تسكن في الطابق الأول صنعت لنا سحراً لتفرقتنا.

سحراً!

نعم سحر، وكيف يعيش حبيسي الغرف حسب رأيك؟
إنهم لا يستطيعون العمل في التجارة لكنهم يسحرون
أصحابها.

وهل استعملت السحري يا سمين؟

نعم وإلا ما كنت لتحضري ها هنا، وماذا تفعل مثلك في
هذه الغرفة؟

كان ذلك صادما ولا أدري إن كانت صادقة في ذلك أم أنها
أرادت التخلص مني لكن كلامها أغضبني فخرجت من
عندها وأقسمت ألا أعود.

لقد أخبرت والديّ بما حدث معبرة لهم عن خيبة أمني في
صديقتي ياسمين التي تستعمل أساليب ملتوية للوصول
إلى غايتها! بعد عدة دقائق رأيت حشداً أمام بيت ياسمين
عندها ظننت أن مكروها أصابها فهرعت إليها وتجاوزت
الحشد حتى باب غرفتها فرأيت حراس الأمن يمسكون
بياسمين ويقف أمامها قائد الحراس في المدينة وهو حازم
الذي سيترشح للولاية بعد ذلك، يبدو في العقد الرابع من
عمره يتوسط الحراس يأمرهم فلا يترددون، يلبس زياً

مميّزا عن باقي الحراس على صدره أوسمة بألوان مختلفة
ولديه شارب مهذب محدد لا يصل شفته العليا فقال:

قانوننا واضح جدا، إنّ أي شخص يستخدم السحر
فعقابه التفسيق، لذلك وبما أنك اعترفت أمام صديقتك
فإني أحكم عليك بالموت.

عندئذ وقفت بين قائد الحرس وياسمين ومددت يدي
لأوقف حازم وقلت:

لم تفعل شيئا لتحاسب عليه، عليكم أن تتركونها
وشأنها.

لقد قدم والدك شكوى بأنها تستعمل السحرا!
ثم رفع قائد الأمن جهاز اللاسلكي وتكلم مع أحد حراسه:
أما زال والد سارة معكم! حوّل.

نعم سيدي، نحن بجانب البوابة الشرقية للمدينة!
نظر قائد الحرس إليّ وقال:

إما أن تعاقب ياسمين الآن بخرقها للقانون أو أن يعاقب
والدك بالتفسيق خارج البوابة الشرقية بسبب البلاغ
الكاذب.

أحبس أنفاسي ولا أتفوه بأي كلمة وأتلاشى وأغيب شيئاً
فشيئاً كي لا أتحمل تبعات خيار اتخذته في لحظة لمدى
الحياة، إنني سراب في حضرة الموت فلا تخيّرني! سأقف بلا
حرك وأدع الأمور تأخذ مجاريها فعندئذ يسهل العيش مع
خيبة ولن اتخذ قراراً فيتعين عليّ العيش مع خيبة
ومسئولية! لكن في هذه الحالة ستكون النتيجة معروفة
فالبقاء لمن يصمد أكثر والبقاء للأقوى وفي كل الحالات
التي كان فيها الايمبوت طرفاً كانوا هم من يموت!

لقد بدا عازماً على تفسيق أحدهم الآن! بدأت أرتعد من
الخوف، لقد أجبرت على أن أتخلى عن أحدهم، فنظرت إلى
ياسمين التي تجلس على فخذيها ونظرها إلى الأرض
فاقتربت منها وجلست أمامها:

أقسم أنني لم أقصد إلحاق الأذى بك. أنا لم أتهمك
بشيء صدقيني ولم أشتكي. وذرفت دموعاً حارة
وحضنتها.

فنظرت إليّ بعيون زجاجية وقالت:

إن تفسيقني الآن ظلما سيكون لعنة على الجميع!
وأمنيّتي الأخيرة أن تصغّروا كما صغرتموني وتفسّقوا
كما تريدون أن تفسّقوني!

أوقفها اثنين من الجنود على رجليها ثم قال قائد الجنود:
بموجب السلطة الممنوحة لي من والي المدينة فياني قد
حكمت عليك بالتفسيق.

ثم جرّها الجنود حتى عتبة الباب وهي تصرخ وتحاول
الإفلات فقاموا بقذفها خارج الباب فوقعت ميتة على
الفور.

خرجت بسرعة أهول وقلبي هلع يكاد ينخلع من هول ما
رأيت فكيف وأنا السبب في كل ما حدث، أقسم أنني لن
أسامح نفسي ما حييت. لقد كنت السبب في الموت لقد
كنت السبب في موتها .. يا إلهي أشعر أن الأرض تتداعى
عليّ بسبب فعلي الشنيع!

آه يا ياسمين! قتلوك لأنك غضبت لقد قتلت ظنا في عالم
متوحش نعيش فيه. الغاضب يا صديقتي يرى إشارات

المرور بنفس الهيئة، الانعطاف إلى اليمين هو نفسه
الانعطاف إلى اليسار! لماذا قتلوك على لحظة غضب؟
سامحيني يا صديقتي إذ لم أعرك انتباه حين قلت أنهم
لن يتركوك وشأنك، وأنهم سيتركون الكون الرحب
ليتهافتوا على المتر الذي تأخذين فيه اختيارك الحر. إن
وجود عالم صغير معزول هو بمثابة إعلان الحرب عليهم
لأنه يعرّي عالمهم المنافق! هل أنا حمقاء لدرجة أني لم
ألحظ أنّ المستويات تقف على بعضها، وحبيسي الغرف
ملاحقون لأنهم وحيدون وضعفاء؟

إنهم قوم استندوا إلى ما سمعوا وأنا استندت على ما
رأيت فأني الحزين أبلغ في العذر! نامي يا صديقتي في
معيّة الجمال وهم سيواصلون تربصهم كما يتربص قطاع
الطرق بعد أن استباحوا غرفتك بلا خجل وداسوا بأقدامهم
القدرة جسديك الطاهر.

لماذا وشيت بها يا أبي؟

سامحيني يا سارة! لقد أردت أن توقف استعمال
السحر ضدك ولم أرد لها الموت ولم أدر أصلاً أن عقاب
الساحر التفسيق!

لا يمكن أن تكون هذه حياة طبيعية! لم تعط حتى وقتاً
لتدفع عن نفسها الاتهام

كأي أبٍ عليّ حمايتك من أي شيء قد يؤذيكَ! فلا
تلوميني فيما فعلت فهذا ما كنت أفعله طيلة حياتك!

درع الحماية الذي يمنع المؤذيات من الولوج بمنعني الآن
من الخروج، لقد بات زنزانة خانقة!

أشعر كأني مفاعل نووي دون ألواح تبريد أو كأمواج
عظيمة يحبسها سد تضربه فيتناثر منه غبار من الصدوع
هذه آخرة التراكمات، كم كتمت من أحاسيس وكم أجّلت
من قضايا وكم أخذت على نفسي ومسحت بذقني
وتقبلت وسامحت مجبرة كيما نكمل هذه الحياة!

أشعر أنني أقرب من الناس إلى الشمس بأميال جسدي
يتصبب عرقاً ومنهكة حتى استغل كل عضو منه الفرصة
لكي يعلن عن انفصاله وإعلانه للحكم الذاتي!

لا كتمان بعد اليوم! إن حجاب الكتمان خطير سيولد
الانفجار الوشيك، لن يكون رأسي مقبرة لمشاعري سأبوح
بما أريد ومتى أريد إن الغضب الذي شعرت به بسبب ما

حدث لصديقتي كان الدافع لترشحي في المنافسة على ولاية والست ثم توالى الأحداث حتى هذا اليوم! فجأة أفقت من الغوص في ذكرياتي المؤلمة، على صوت فيروز حين قال:

ها هي المكتبة أمامنا!

تسللنا حتى دخلنا إلى المكتبة المطلوبة، أردنا الولوج لكن البوابة كانت مغلقة، فضرب عبّاد بوابته الزجاجية فهشمها ودخلنا، إنها مكتبة عملاقة لا يُرى آخرها، كتب مرصوفة فوقها كتب، ورفوف مرصوفة من أين نبدأ؟

دائماً ما تعملون على إخفاء الأشياء! وتمنعون الناس من حقوقهم، لا أمّ لكم. قال عبّاد بغیظ وما الحقّ الذي منعناه من الناس؟ قال فيروز باندهاش!

إنّ من حقّنا أن ندخل ونخرج إلى الحصينة متى شئنا وهو حق كفلته لنا الآتما بينما منعتموه أنتم!

عادتنا تختلف عن عاداتكم وأشكالنا تختلف عن أشكالكم، وأظن من حقنا اتخاذ أي قرار للحفاظ على ميزتنا!

أتم قلوب من حجر، لقد أردت إدخال ابني جاسر للعلاج
بسبب حالته الطارئة لكن طلبي قوبل بالرفض بسبب
قوانينكم الصماء حتى فقدت ابني أيها القتلة. لكن لا
تقلق فستعلمون حين يصل انتقامي!
أظن قوانيننا واضحة، لا دخول للإقليميين مهما كانت
الأسباب طارئة.

قتلة، ما أتم إلا قتلة!

عندئذ تدخلت لمحاولة احتواء الجدل العقيم:

لسنا هنا لحل مشاكل الحصينة التي لا تنتهي، فلنواصل
البحث عما جئنا لأجله وأعتقد أننا في مشكلة أكبر بكثير
مما تتخيلون، الناس يُفسقون الواحد تلو الآخر بينما
أتم تجادلون فيما لا ينفع!

عندئذ ثار فيروز وأخذ يصرخ:

كيف لا ينفع! لقد قاموا بتفسيق والدتي أمام عيني
بسبب مخالفتها لقوانين الحصينة ولم أحرك ساكنا،
هذه القوانين هي التي حفظتنا طيلة السنوات الماضية
وسنحميها بدمائنا.

ما أقصده أن لدينا من المشاكل ما لا نستطيع حله في
هذه الدقائق الثمينة فدعونا نُؤجل ذلك فنتعارك
ونتصارع ونتجادل إن بقينا على قيد الحياة!

حين تتحول أعمارنا كلها إلى عدة دقائق ثمينة لا تفعل ما
كنت تفعله طيلة حياتك! المعضلة التي لم نستطع حلّها
طيلة هذا الوقت لن نستطيع حلها في بضع دقائق. تجاهلها
وافعل شيئا جديدا! في رحلة الفقدان نحن في غنى عن
الاختلاف! فالاختلاف للحياة والحياة اليوم شارفت على
الانتهاء.

القتال الآن لم يعد مهما، قتالكم على الحصينة لم يعد
مهما فقريبا ستتحول إلى كومة حجارة! وهذه الدقائق
الثمينة علينا إنفاقها في التقدم نحو حل وليس في
التشتيت.

هدوء حذر اجتاح المكتبة ونظرات مترقبة تستطلع الأجواء
على استحياء فقلت:

لماذا أرسلنا إلى هنا! ماذا سنجد هنا؟

لا شك أنّه كتاب يفسّر لنا المصائب التي تحصل من
حولنا! قال فيروز.

طبعا كتاب! وماذا ستجد غير الكتب هنا أيها الذكيّ،
المشكلة نحن وسط ملايين الكتب.

مكتبة مترامية الأطراف، رفوفها عالية ضعفيّ طولي. إن
قراءة عناوين الكتب وحدها ستحول دونها أعمارنا
القصيرة. سنة الاختزال في الأزمات مطلوبة وتقليص
الاختيارات واجبة من أين نبدأ وإلى أية ردهة نمضي! عندئذ
أشار فيروز بكلتا يديه قائلاً بتفكير:

اسمعوا إنّ المرأة التي أرشدتنا إلى المكتبة كانت تلبس
قلادة تحتوي في وسطها على عين في ومن حولها دوائر
كثيرة.

أتظن أن لهذه القلادة شأنًا فيما نبحث عنه؟ قلت
باستغراب!

صحيح! لماذا لم تخبرنا المرأة عمّا نبحث عنه بصراحة!
لا أدري لماذا لكن هذه القلادة رأيتها سابقاً! رأيتها مع
صديقتي ياسمين، إنها قلادة لعين غائبة

وإلى ماذا ترمز العين الغائرة؟ قال فيروز.

هذا ما سنبحث عنه! سنبحث عن أية كتاب يحتوي على
رمز العين الغائرة ولنركز على كتب الطب والنبوءات!

وهكذا افترقنا كل يبحث عن هذا الرمز الغريب، لعله
يقودنا إلى الفهم والمعرفة، لعل في تاريخنا ما ينقذنا! لعل
أحدهم كان يقظا فحدّر وكان ملتفتا فرأى فنادى، وآن
الأوان لأن نلقي أسماعنا فيقودنا إلى الخلاص! لكن لماذا
كان هذا الرمز مع الایمبوت؟ أيعقل أنهم يعرفون شيئا
تجهله باقي المستويات؟ هل خصّوا بالخلاص!

أتعتقدون أنّ الایمبوت قد خصّوا بالخلاص؟ قلت بتفكر.

أو أنهم السبب في هذه المآسي ولا شك هي حبكة
مقنعة ليترقوا في الأعطيات! قال فيروز بتفكر أيضا.

أترى السبب في كون المرأة لم تخبرك عمّا نبحت؟ لأنك
لن تصدقها وكنّت ستفسّقها لو قالت ما لم يُعجبك!
قال عبّاد.

هذا شأن داخلي لا يعنیک! قال فيروز.

رحت أهروول بين الكتب أبحث في العناوين أقرأها ولا
أعيدها إلى مكانها بل ألقى بها على الأرض فليس لدينا
وقت كافي. حتى استقررت على كتاب قديم أوراقه تميل
إلى صفرة الخريف وأوراقه متآكلة بفوضوية. كان هذا
الكتاب يتطرق إلى نبوءات عديدة من بداية القرن الواحد
والعشرين، فرحت أتصفحه حتى وصلت إلى نبوءة غريبة
جذبتني لما فيها من رموز تشير نوعا ما إلى العين الغائرة،
فكانت كالتالي:

" حين تغور العيون وتغشاها جفون من فوقها جفون، فقد
حان وقت القصاص وسيستغيث الناس للخلاص ولا
مناص!"

امتزج شعوري بين الدهشة والغرابة، ومن الممكن أن
تكون هذه النبوءة مجرد مصادفة علفت في شباكي
اللاواعي أم أنها تخصنا وأي كلام يقال بعدها مجرد
تأويلات لمحاولة يائسة لدفع المصير الرابض فوق
صدورنا. إن هذه النبوءة تثير الكثير من التساؤلات ومنها ما
علاقة العيون بالجفون لعلنا نفهم بعضا مما قصد هاهنا!

توجهت إلى الكم الهائل من الرفوف، أتهافت عليها وأوزع نظرات لحظية ثاقبة وغير متساوية، فقد أردت بلوغ كتاب يتكلم عن معنى الكلمات وفعلا بعد عدة انعطافات عثرت على قاموس لغويّ فقلبت فيه الصفحات فوجدت فصلا يتكلم عن علاقة العيون بالجفون وقد استعان المؤلف ببيت من الشعر القديم:

" ومما شجاني أنها يوم ودّعت تولّت وماء العين في
الجفن حائر "

كثيرا ما نحاول العبور من طريق لا مخرج منه وكثيرا ما يكون بلا رجعة! أشعر أنني كلما تقدمت خطوة في فهم ما يدور حولي أصبح الجو ضبابا أكثر فأكثر. هل إلى الخلاص من سبيل! أم هي نهاية محتومة.

أم أن عليّ أن أواصل مهما كلفني الأمر! أن أعلن استسلامي للانسيابية وللمنطق الهلامي يجرني ويسحبني حتى أعتاب مدخل لم أكن لأبلغه مهما تفتّق وعيي واتّقد ذهني!

حسنا ما هو الماء المحترق في الجفن! آه ما أعمّ
الاستعارات! وما المجاز الذي أخاله مهذبًا هربانا متوجسا
خيفة لا يقدر على إحكامه أحد أو على إمساكه بشرا!
لمحاولة الإحاطة بأطراف الحقيقة كان لابد لي من تأويلات
شتى! فناديت كل من عبّاد وفيروز بصوت جهوريّ فقدموا
من فورهما فقصصت عليهما لما توصلت فقال عبّاد:
لا أرى أنّ لهذا اللغز حل! هذا إن كان لغزا من البداية!
من الطبيعيّ الشك يا عبّاد، خاصة وأنت تريد بلوغ
مكان غير معروف ولا هو مألوف. قلت وأنا أتصفّح كتابا.
لنحاول أن نفهم شيئا! إذا كانت العين غائرة فمن
المنطقي أن ينسكب الماء من الجفن إلى العين، فلماذا
ماء العين يكون حائرا في الجفن؟ قال فيروز متسائلا
ومستغربا.
صحيح هذا يعني أي هناك ما يمنع الماء المتوجه إلى
العين الغائرة من مواصلة طريقه فيقف حائرا! قلت
باستغراب.

أتلّمحين إلى أنّ ما يحصل لنا هو بسبب عطل وظيفيّ
لشيء ما؟ قال عبّاد.

لكن ماذا عساه يكون؟ خلل بدنيّ، طبيّ، أو روحانيّ؟
ولماذا لا يستثني أحدا! قال فيروز باستغراب.

عندئذ توقّدت ملامحي وتقلصت عيوني فقد أحسست أنه
تكلم عن شيء في غاية في الأهمية! لماذا لا يستثني الموت
المفاجئ أحدا! لماذا تشترك جميع المستويات في هذه
المآسي؟

أقترح أنّ الحلّ الأمثل هو أن يذهب أحدنا إلى تلك المرأة
فأنا متأكد أنها تخفي شيئا نحن في أمس الحاجة له! قال
عبّاد.

قمنا بالاتفاق على إرسال فيروز ليعود إلى المرأة التي
تخفي الحقيقة بينما تابعنا نحن بحثنا عن الحقيقة. الآن
قمنا بتركيز جهودنا للبحث عن القاسم المشترك لجميع
المستويات لكننا لم نهتدي إلى شيء يذكر.

عاد فيروز مضطربا بسبب الهلع المنتشر في الخارج:

هل قابلت المرأة؟ قلت بلهفة.

نعم! لكنها لم تعترف لي بشيء لكن حين سألتها عن
القلادة التي ترتديها قالت أنّها حصلت عليها من والدتها
وأن حول العين توجد ثلاث دوائر وهي قطعاً ليست
جفوناً! قال فيروز.

الآن اتضح الأمر! الدوائر ليست جفوناً إنّما هي
المستويات الثلاثة وأما العين فترمز إلى المستوى الأول
وهم الایمبوت! قلت بتفكّر.

ماذا نفعل الآن؟ قال فيروز.

علينا أن نبحث عن كتاب يشرح لنا عمل المستويات
بدقة! قلت.

وفعلاً بدأنا في البحث المكثّف لكن فجأة دون سابق إنذار
وقف فيروز كالجذع اليابس بعيون بارزة وقال:

الوحش هنا!

ما تقول؟ أين!

إذ به يصيح الوحش قادم باتجاهي فجثا على ركبتيه
فاقتربت منه، وقلت:

بسرعة صف لنا ما ترى؟

كان هلعاً جداً ولا يقوى على الكلام وهو من هو فيروز الشجاع لا شك أنه شيء خارج عن الطبيعة، أمسكه عبّاد من كتفيه وقال:

حاول أن تركز، ماذا ترى؟

إنه وحش مخيف، عملاق يحمل مطرقة قاضي عملاقة يريد أن يهشم رأسي، إنه يقترب، إنه يقترب، لا لا.

قام فيروز دون أن ينظر إلى الخلف راح يركض خارجاً واختفى عن أنظارنا، لا شك أنه ركض إلى نهايته. إني كئيبة جداً وتعسة، كيف يمكننا أن نفقد بعضنا واحداً تلو الآخر بهذا الشكل القاسي، وضعت راحتي يدي على وجهي وبكيت بشدة، لقد بدا وكأننا فشلنا إذ لا يمكن هزيمة شيء كهذا.

هيا نبحث عما جئنا لأجله! قال عبّاد.

وبعد أن بحثنا لعدة دقائق، وجدنا عدة كتب داخل خزانة مغلقة بإحكام في مكتب المدير، وقد كتب على الخزانة "

رف الكتب الممنوعة" كانت هناك عدة كتب قرأنا عناوينها جميعا، ما لفت انتباهي هو كتاب بعنوان " الآتما".

تصفحت فهرسه، فرأيته قد تطرق إلى عدة مواضيع منها: بداية الآتما، مشروع البرامج المائة، مراكز الآتما بدأت أقرئ فذهلت حين اكتشفت أمرا جد خطير وهو أن الآتما معدة لتكون لمدة مئة عام فقط ولكنها مفعلة منذ مائة وثلاثين عاما، وكان على الإنسان أن يوقفها لأنه إن لم يوقفها فستقوم بإيقاف نفسها بنفسها!

ما تعنين بإيقاف نفسها بنفسها؟ قال عبّاد عن طريق آلية التدمير الذاتي وأعتقد أن ذلك عبر تفجير الشرائح في أدمغة الناس فكر عبّاد وقال متفاجئا:

وأبسط طريقة للتدمير الذاتي هو تفسيق البشر! يا آلهي إنها الآتما هي سبب الموت، ستقتلنا جميعا.

ليس هذا فقط، إن الآتما تستغل الأحلام المخزّنة في رؤوس الناس لتكوّن وحشا يدفع الشخص إلى الفسوق. قلت بحسرة.

ماذا الآن! علينا أن ننفذ العالم عبر تدمير الآتما؟ قال
عبّاد.

نعم أعتقد أننا سنحاول!

إذا ما هي خطتنا يا سارة؟

علينا أن نذهب لأقرب مركز للآتما ونقضي عليها!

عندئذ اقترب عباد مني بشكل يثير القلق ويوحى بالغرابة
وفجأة رفع خنجرا في وجهي وطلب أن أعطيه كتاب الآتما
مهددا إياي بالقتل إن لم أتجاوب معه.

ماذا دهاك يا عباد؟

لا يمكنني أن أسمح لك بالقضاء على الآتما!

ولم؟ قلت باستغراب شديد وذهول!

إن قضيتي على الآتما فسنفقد ميزتنا في التنقل وسيتم
الاستغناء عنا وعن تجارتنا وسيكون لكم المدن وطرق
التجارة

لكنكم عندئذ ستتمكنون من الدخول إلى الحصينة.

صحيح! لكن مشكلتي ليست في الدخول الآن لكن في
خروجكم أنتم من الحصينة!

أنا مندهشة من حكمتك! قلتها باستهزاء. ألا ترى أنه عما
قريب لن يبقى أحد حي!

لا أفهم كيف يفكر عباد، هل ما أراه من هنا! لا يراه من
هناك؟ هذا مستحيل الناس يفسقون أمامه. هنا على
السياسة أن تقف صامته أمام هول المصيبة التي تتعرض
لها.

هل وصلنا إلى الحضيض؟ أم إن علينا أن نرمي كل
الحمولة من المنطاد الهاوي مهما كانت نفيسة ونادرة
وماذا تنفعك حمولة السفينة الغارقة إن كنت من
الغارقين فيها! العالم يغرق ونحن نرزع تحت سطوة
الحمولة الزائدة منذ ولدنا!

هل هذا اختبار القدرة على التخلص من الحمولة الزائدة؟
ألن تكتب النجاة لمن لا يستطيع التخلص من الحمولة
مهما قيمة أو فارقة في حياتنا. مما لا شك فيه أنه حدث
جلل سيكشف عن قدرتنا نحن أبناء المستويات من
المضي قدما أم أن التفسيق سيكون مصيرنا!

عندئذ قال عبّاد:

اسمعي يا سارة .. بصراحة شديدة إنّ زوجتي مديحة
من سكان الحصينة وقد تزوجنا رغم معارضة عائلتها
وقد هددوها بالقتل! ولك أن تتخيلي أنه بعد إبطال
الآتما ستتمكن عائلتها من الخروج والوصول إليها
وقتلها وأنا لا أريد أفقد زوجتي الحبيبة كما فقدت ابني!
نعم صحيح! لذلك قررت أن تقتل جميع الناس من
أجل ذلك .. ستكون السبب في إنهاء البشرية أي جرم
أشد من ذلك!

أشعر بدوار شديد يفقدي صوابي! لطالما تشدقنا بأصحاب
الخبرات وتتبعنا نصائح أصحاب التجارب، بيد أنها في كثير
من الأحيان تكون عبئا ثقيلا على أصحابها! أصحاب الأعباء
لن ينقذوا البشر بل سيسرعون في هلاكهم. أنا آسفة جدا
لكنني سأفعل أي شيء من أجل التخلص من عبّاد ولن
يوقفني عن محاولة إنقاذ والديّ وأقاربي وجميع من أحب!

الفصل السابع

بينما نحن في المكتبة، فجأة ظهرت مجموعة من الرجال المدجّجين بالسّلاح، لا يرتدون زيّاً موحدًا وعلى ما يبدو أنّهم عصابة ما يحيطون بنا ويطلبون منا الانصياع لهم وإلا استعملوا معنا قوّة السلاح، بعد أن اضطررنا للاستسلام تم تقييد أيدينا واقتيادنا إلى بيت قريب من المكتبة العامة في هذا البيت قاموا بربط أيدينا وأرجلنا على سرير حديديّ، وخرجت العصابة فحاولت أن أفكّ يديّ فالتفت إلى عبّاد: هنيئًا لك لقد دخلت المدينة! هل أنت راضٍ الآن؟ قلت باستهزاء.

غالبًا فإنّ تداعيات الأحداث تجعلك تتمسك ما أنت عليه مهما كان غريبًا، قد ندفع في هذه اللحظة الغالي والنفيس على أن نبقى مقيدين بهذا الشكل لأنّ إحضارنا إلى هنا بهذا الشكل نذير شؤم وكرب وله ما بعده فتوجهت إلى عبّاد مرة أخرى:

هل تريد أن تعتذر عن شيء قبل أن تموت؟

وقصدت قتله لخطيبي سالم ففهم قصدي وقال:

أعتذرا! وهل قدم خطيبك إلى السوق ليوزع الورود علينا!
كان لدينا حقّ الدفاع عن أنفسنا، أتعلمين شيئا إني حين
أهديتك أحد الأسرى ظننت أنك ستختارين خطيبك!
لكنك اخترت له الموت!

أنتم من قتله!

بل أنت من قتله حين اخترت عادل.

بل أنت .. بل أنتم! البلبلة لا تعيد الفقيدين، وهكذا نضيع
لحظات حياتنا الأخيرة! تساءلت في نفسي. توجهت مرة
ثالثة إلى عبّاد وهو مازال صامتا، إن هذا الصمت يجعلني
أوجه له الأسئلة المستفزة فكيف لكبريائي ألا يحرك ساكنا
حين أسأل فلا يجيب فقلت:

أعتقد أننا في مأزق؟

مأزق! من خبرتي إن من كبّل من يديه ورجليه فهو على
بعد خطوة واحدة من الموت، لذا اتركي إنقاذ العالم
لشخص آخر. ثم تقهقه بصوت مرتفع.

تضحك عند الموت! ألا تعني رهبة الموت لك شيئاً؟
رهبة الموت مرة وأنا كنت على وشك الموت الكثير من
المرات! لقد أدمنت هذه المواقف لذا احذري من
مصادقتي. ثم ضحك.

ماذا حصل لك؟ لقد بدوت طبيعياً منذ لحظات.

على ما يبدو فقد دخلنا في عالم التصرفات اللا منطقية!
عالم تضحك فيه إذا حزنت وتبكي فيه إذا فرحت اختلت
المعايير رأساً على عقب، لكن يبقى للفقدان ألم جاثم على
الوجدان. إنني غاضبة جداً كسيف يحاول فتح طريق في
غابة كثيفة ولا يهدأ، فنظرت إلى عبّاد بغضب جامح:

أيها الحيوان! لقد قتلت حبّ حياتي سوف تموت لقاء
فعلتك هذه. قلت وأسنانني تصطك وأصابعي منقبضة.

هدئي من روعك! لقد حقنونا بشيء ما! حافظي على
هدوئك. وأخذ يضحك بصوت مرتفع.

إلى الآن لم أفهم! إذا كنتَ قد حقننا بشيء ما فلماذا كان
نصيبني الغضب وكان نصيبه الضحك؟

فجأة دخل طبيب ذو شعر كشعر أينشتاين عرف نفسه
بأنه الدكتور وجيه آل عوني فقال وهو سعيد:

كل مرة أتفاجئ من جديد من هذا الدواء الرائع! ثم نفخ
على نظارته ومسحها بكفة يده. وأضاف:

بينما نحن نتكلم فإن جلودكم تمتص المادة المثيرة
للمشاعر من السرير تحتكم!

ثم مرّ أصبع يده على سرير عبّاد وقال:

قليله جميل وكثيره قاتل، أمّا أنا فأكتفي بالقليل. ثم
ضحك كضحكة عبّاد.

لماذا لا تمرر أصابعك على سريري أيها المختل. قلت
بغضب وأضفت:

فكّ وثاقي أيها اللعين. ستري عقابي، ستري غضبي لن
ينجيك أحد. سأخنقك بكلتا يديّ.

هل للغضب سقف؟ هل للغضب عمر؟ أعمره طويل أم
قصير! شيء ما يأكلني من الداخل يتمدد في صدري،
أشعر أنني سأنفجر. بدأت أصرخ بصوت هادر، صوت

عميق كعمق المحيط وبدا جسدي ينتفض كالرعد وهذا
الوقح يتقهقه بجانبى كمن يزيد النار المشتعلة توهجا.

ما تريد منا ولما نحن مقيّدون هكذا؟ قال عبّاد.

حسنا لا شك أنكم تعلمون ما نمّر به، لكنني أعمل على
حلّ سيخلصنا من وحش الأحلام للأبد وسأنقذ البشرية.
ثم أضاف:

أتم ستطوعون لإجراء بعض الفحوصات!

هل رأيت متطوعا بيدان مربوطتان؟ قال عبّاد ذلك أو
نحو ذلك لا أذكر جيدا.

إنكم سوف تضحون من أجل البشرية. قال وهو يقوم
بتوصيل أجهزة ببعضها.

عليّ أن أتحكم في نفسي! أن أتحكم في مشاعري، لا يعقل
أن يقودني الغضب إلى حتفي عليّ التفكير بعقلانية إن
المادة التي يتجرعها جسدي لاقت إقبالا شديدا ورواجا
وأرض خصبة وأفكارا مشجعة تصفق لها وتصفرّ. إن
الفكرة المستحوذة هي الانتقام، ويؤججه الغضب وعليّ أن
أضعفه بتقوية فكرة أكثر إشراقا وإيجابية لكن ما الذي

يحدد الفكرة المستحوذة؟ أهي الخبرة والمآلات؟ أم
الجينات؟

أيّ فكرة تستحق مساعدتي للاستحواذ! أهو الحبّ؟ لكنني
فقيدة الحب، حبّي تحت التراب. أهي السعادة؟ لكنني لم
أسعد منذ فُسّقت صديقتي ياسمين! إذن لا توجد لدي
فكرة تستحق الاستحواذ بجدارة. لعله الأمل؟ نعم! الأمل
في غد أفضل، والأمل في عدل يعمّ جميع المستويات!
والأمل في إنقاذ والديّ. نعم لقد اخترت! سأغمض عينيّ
الآن وسنثور على الغضب ونمكّن الأمل من السلطة..
السلطة على عقلي وقلبي.

لكن هل سينجح الأمل البريء من مجابهة الغضب
الجامح؟

لكننا استطعنا الوصول للمشكلة الأساسية ويمكنك
مساعدتنا في حلها. قلت.

فجأة انتابته ضحكة هستيرية حتى كاد يغمى عليه. وقال:
أنتم؟ لديكم الحل! قال باستهزاء.
ماذا ستفعل لنا أيها الحيوان؟ قال عبّاد.

حسنًا، بما أن الحسّ الإنساني هو المسئول عن وحش
الأحلام فببساطة كي تفهما سأقوم بحرق مركز الحس
المسئول في الدماغ وأنا متأكد بأن ذلك كفيل بالقضاء
على وحش الأحلام. ثم أضاف:

إن تشبعكم بالمادة المثيرة للحسّ، سترشدنا إلى المكان
الدقيق للحلم، وسيسهل علينا القيام بالمهمة
وستكونان خير إثبات على صحة نظريتي.

لقد تحولنا إلى فئران تجارب! قيّدوا حرّيتنا بدافع
المعضلات الطارئة، وأشبعونا بالمشيرات الحسية بدافع
إنقاذنا من الموت، لكن هذا الغبي لا يعلم أننا نموت في
اللحظة مئة مرة. لكن الأمل موجود ما دام الشفق في
الأفق! وما دامت ألوان قوس قزح تصل الأرض بالسماء.

الفصل الثامن

شعرت بومضة فتذكرت قبل خمس سنوات من الآن حين
طُرق باب شقتنا ودخل رجل خمسيني، يلبس بدلة من
ماركة عالمية ويحمل غليوناً بيده، عرّف عن نفسه بالسيد
كاظم وقال:

باختصار شديد.. أعرض عليكم أن تبيعني سارة
مستواها مقابل عشرين قطعة ذهبية.

لقد أصبنا بالذهول مما سمعنا فقال والدي:

معقول! كيف؟ أتباع وتشتري المستويات؟

إنّ الآتما عبارة عن شريحة تزرع في رأس الإنسان عند
الولادة، وقد تمكنت بمساعدة علمائي من التوصل
لطريقة لتبديل الشرائح!

ألن يكون ذلك خطراً على سارة؟

أبداً، إنّ نسبة النجاح تقارب المئة بالمئة.

نظر والديّ إلى بعضهما فأضاف كاظم:

سيكون لديكم من المال ما يكفي لتعيشوا حياة مرفهة
لسنين كثيرة.

عندئذ دخلت إليهم بجرأة:

مستحيل .. لست موافقة على هذه الصفقة.

فقال كاظم:

عليك أن تقلقي لأن هناك عصابات تتربص للمستويات
العليا ولن تعرض عليك المال كما فعلت.

لكنني عندها أصررت على رفضي للصفقة وقد عاتبني
والدي:

ماذا ينفعلك هذا المستوى، كان عليك أن تقبلي
بالصفقة.

كلا .. لن أذعن لأساليبه الميكيفيلية، أنا لا أعلم بماذا
سيفيدني هذا المستوى لكنني أشعر أنّ عليّ الحفاظ
عليه! إن كان يريد به هذا المبلغ الضخم فلأنه مهم بنفس
ضخامة المبلغ لنتنظر ونرى.

في اليوم التالي عاد السيد كاظم إلى شقتنا وعرض نفس
الصفقة وتكلم بنفس الكلام مما يثير الغرابة ويدعو
للاستهجان، لكن هذه المرة قلت بحزم ودون تردد:

إني أفضل الموت على أن أبيع مستواي، أتفهم!

ومما زاد من غرابة الموقف أنّ والدي سأله عن سبب
عودته اليوم بعد أن عارضته البارحة، ادعى بأنه لم يأت
البارحة وأنّ هذه المرة الأولى التي يزور فيها شقتنا.

أتعتقد يا والدي أنه يكذب؟

إنه غريب الأطوار! لعله يعاني من الباركينسون.

وماذا إن عاد غدا؟

سيكون فضا ولن تستقبله سوى العصا.

في الحقيقة لا أعتقد أنه كان يعاني من أية مشكلة، لعل
الاتما أرسلته ليوقع بمن يقومون بالتجارة الشرائح وعاد
زيارة ثانية لما رأى ترددا مني، لكنه منذ ذلك الحين لم أراه
أبدا حتى هذا اليوم.

الآن في مختبر الدكتور وجيه بدأ يتهياً وضع قفازات على
كلتا يديه، واقترب إلي يبحث عن وريد في يدي اليسرى
ليحقني بمادة ما إذ اخترقت قلبه رصاصة ودخل بعدها
عدة جنود، فگوا وثاقنا وقال الجندي:

أنت سارة؟

نعم!

عليك أن تأتي معنا.

أنا! لم؟

لدينا أوامر بإحضارك إلى المجمع، نحن نعمل على جمع
المستوى الرابع (العالمي) كلهم.

لكن ماذا عن صديقي هذا؟ والتفت إلى عباد.

نحن تحت أمرك فيما تريدونه. قال الجنود.

ما يمنعني أن أنتقم منك الآن يا عباد على ما فعلته في
المكتبة وعلى قتلك لحبيبي سالم؟

لن يمنعك شيء! اقض عليّ أنت قبل أن يفعل وحش
الأحلام!

حان وقت الانتقام! لقد حان الوقت لإخماد النار في صدري.
لكن ماذا عن السلطان الشرعي؟ أقصد الأمل! لكن ماذا
عساي أفعل إن كان الغضب أشد إيلاما وعنفوانا من
سكينة الأمل.

الأمل بصيص والغضب تملكني من أصابع قدمي حتى
شعر رأسي. توجهت إلى الجندي وأمرته:

أجهز عليه!

سارة ماذا تفعلين؟ لن تستطيعين العيش مع الندم، لا
تكوني مثلي. قال عبّاد.

لكنني لم أتفت إليه وخرجت باتجاه المجمع برفقة الجنود،
أثناء خروجنا من المبنى سمعت طلقة نارية فعرفت أنهم
قاموا بقتله.

في الجيب العسكريّ وأثناء سيرنا قلّ تأثير المثير الحسيّ
فانتابتنني نوبة هلع، وصرت أتنفس كالغريق ولا هواء
يسعفني أيّ أرض تقلني بعد اليوم! فقال أحد الجنود:

هدئي من روعك! شعرت مثلك تماما حين فعلتها في
المرّة الأولى.

فعلا كما قال عبّاد رهبة الموت مرة! ثم ضحك هستيري
ولعبة من يغيض الآخر.

الغضب شيطان خانس والأمل عاتب حزين وعرش قلبي
مهشّم الملامح، مقوّض الأركان مائل، لا يجلس عليه أحد
أكثر من لحظة ثم يهوي كما هويت أنا، فقال الجندي:

لا تقلقي فالزمن كفيّل بالتجديد!

أي زمن وأي بطيخ! دم على يديّ أينما توجهت وخنجر
الخيانة المثلوم في صدري. قلت والدموع غزيرة.

أكملت برفقة الجنود باتجاه المجمع الذي يضم أناسا من
المستوى الرابع! وبالي مشغول على والديّ ومشغول
بالبحث عن الحل الذي سيقضي على وحش الأحلام!

وصلنا إلى مقر المستوى الرابع! وهو مكان شاسع جدا به
كل ما يخطر على البال، يبدو أنه أعدّ منذ زمن يبدو وكأنني
قدمت إلى المستقبل، فالبنائيات تبعث على الغرابة! لا زوايا
حادة كلها شبه دائرية وكأن المهندس من المريخ! لا شك
أنه صرح عظيم ويبعد عن مدينتي نصف ساعة فقط!
غريب! كانت لديّ غرفة واسعة وشريكة تدعى سنابل.

كانت سنابل جميلة ورقيقة جدا تبتسم باستمرار. توجهت
إلى المسئول:

لماذا تم اختطافنا بهذا الشكل؟

اختطافك! تم إنقاذك وإلا لكنت الآن جثة هامدة
مكشوفة الدماغ!

لماذا تم وضعنا هنا؟

لحمايتكم! اسمعي أتم في المستوى الرابع لن يستطيع
وحش الأحلام النيل منكم وتفسيقكم ولكن الفوضى
العارمة في الخارج ستؤدي إلى قتلكم لا محالة!
وماذا عن أهلي؟

أخشى أننا لا نستطيع جمع جميع المستويات هنا.

إذن أنا أفضل أن أخرج من هنا!

للأسف لا يمكنك الخروج، أنتم أمل البشرية في مواصلة
الحياة على الأرض.

لكن لدي طريقة لإيقاف هذه الفوضى!

أخشى أنه قد فات الأوان، عودي إلى غرفتك وسنعلمكم بكل جديد.

لا أعلم كيف سأعيش بقية حياتي دون والديّ وكيف سأعيش مع فكرة أنني جلست مرتاحة هنا ووالديّ يعانيان في الفوضى العارمة بالخارج، إن عشت فسوف تقتلني الحسرة! فقالت شريكتي سنابل:

أكنت تفضلين الموت في الخارج؟ هوّني عن نفسك فقد فات أوان إنقاذ الجميع!

لا تظني أن الحياة ستكون وردية هنا! إنهم يريد بناء عالم مكون من مستوى واحد وهذا محال، ومن معرفتي بالبشر عما قريب سوف يقسم هذا المستوى إلى أربعة مستويات. اسمعي لطالما مقتّ الاتما بسبب المستويات المختلفة التي تعطيها، لكنني رأيت أنّ هذا الاختلاف فينا وليس فيها وهو ضروري.

حسنًا ما رأيك لو نذهب للتجول خارجا كي ترفهي قليلا عن نفسك!

خرجنا نمشي على العشب الأخضر فإذا بي أبصر رجلا أعرفه
إنه كاظم مشتري الشرائح العالمية فعرفني فورا وقال:
سارة! جيد أنك رفضتي صفقتي! لقد نجوت.
كيف علمت بأن المستوى العالمي سينجو؟
فضحك ومجّ الغليون وقال:

أترين هذا المجمع العظيم، أنا من بنيته وليس هذا فقط
بل إن أغلب المتواجدين هنا أنا من بعثهم العالمية
لينجو.

لماذا قدمت إلى بيتنا مرتين؟

ممم في البداية كنت متأكدا أنك سوف توافقين على
صفقتي، لكن حين رفضت علمت أنك مميزة ورجعت
فقلت بتصويرك لنستطيع العثور عليك حينما نريد!

لكن ما هذا الوحش الذي يقضي على الناس؟

إنه وحش الأحلام المهملة! أترين هناك تلك الأحلام
المكدسة في رؤوس الناس والتي لم ترى النور أبدا، لقد
قامت الآتما باستغلال ذلك ضدهم وحولت أحلامهم

المهملة إلى وحوش. الآن ما عليك يا سارة إلا أن
تسترخي وتعيشي بطمأنينة وسكينة.

سكينة ها! لقد تهدانا الغضب والأمل فلن أذوق السكينة
ما حييت أنا على يقين تام أنّ هذا المجمع يحتوي على
قطع البازل الناقصة وعلى الأجوبة لأسئلتني الملحة، كيف
نقضي على وحش الأحلام المهملة؟ وما علاقة الايمبوت
بالعين الغائرة؟

وسريعا استطعت تحديد مكتب كاظم وطلبت من سنا بل
أن تساعدني في دخوله خلسة لكنها رفضت قائلة:

هل أنت حمقاء لتتركي السلام الوحيد في العالم وتبحثي
عن الفوضى؟

حانقة ولست حمقاء! ثم إن وجودك هنا هو محض
الصدفة، ماذا لو كانت الصدفة قد وضعتك في غرفة بين
أربعة جدران تنتظرين مصيرك سواء صبرت أم جزعت!
قلت بغضب.

أنت لا تعرفين عني شيئا لذا لا تلقي الأحكام جزافا!
قالت بانفعال.

أنا حينما خيّرت فقد اخترت شخصا بغيضا على حبيبي،
وحين خيّرت اخترت موت صديقي الذي أعانني في
مجابهة وحش الأحلام المهملة! لا يمكن أن تكوني أسوء
مّني. قلت بحزن شديد.

بل أسوء بكثير! أنا حينما خيّرت تركت والدتي لأنقذ
نفسي من الفوضى العارمة وقدمت إلى هذا المجمع! أنا
ودعت أمي وكأني أقول لها: سأترك تموتين بينما
سأنجو بنفسي! أيّ ابنة أنا. قالت بحسرة.

الذنب ليس ذنبك يا سنابل بل هي ذنب الآتما التي فرّقت
العائلة الواحدة، إن ذنبنا الوحيد يا سنابل هو تعودنا وعدم
قدرتنا على التخلي عن الآتما!

ثم نظرت إلى وجهها مباشرة إلى عيونها الخضراء وقلت:

ألا تريدان أن تنقذي والدتك من الموت المحقق بها؟

وهل أنت متأكدة من نجاحك في ذلك؟

لست متأكدة من شيء لكنني سأحاول بكل ما أوتيت
من قوة.

وافقت سنابل على مساعدتي، فبينما كانت تراقب في
الردهة المؤدية إلى مكتب كاظم، دخلت بخلسة وأخذت
أنبش الأوراق وفعلا فقد عثرت على ملف خطير عليه رمز
العين الغائرة.

فتحته وقرأت ما فيه على عجل! فذهلت وكاد يغمى عليّ
فخرجت مسرعة عائدة إلى غرفتي ولحقتني سنابل تحاول
الإبطاء لكنني لم أستجب لها حتى دخلت وأرتميت على
سريري فقالت سنابل:

ماذا حدث؟ لم لا تجيبين؟

ببساطة العين الغائرة هي الحلّ.

إذا هنالك حلّ. قالت سنابل.

لا يوجد هناك حل.

توقفي .. توقفي لم أفهم شيئا! هل هناك حل أم لا
يوجد حل.

اسمعيني جيدا! العين الغائرة هم المستوى الأول! ومن
أجل إبطال الآتما نحن بحاجة إلى دماء شخص من
الايمبوت يكون بمثابة شيفرة الدخول لإبطال الآتما.

ماذا وكيف نجلب شخصا من حبيسي الغرف إلى مركز
الآتما. قالت سنابل باستغراب.

لا يمكن! إلا إذا .. إذا أحضرناه جثة هامة ولا يمكن أن
نفعل شيئا كهذا!

الآن فهمت إن المرأة لم تخبرنا بهذا السر لأنها خافت على
نفسها وإلا لكانت جثة هامة الآن.. هذا هو سرّ الايمبوت.

إن في توضيحتهم خلاص للجميع! لكنني لا أظن أن
الايمبوت سيضحون من أجل الجميع بعدما ذاقوا الأمرين
وبعدما فُسقوا أفرادا وجماعات وتجرّعوا الجوع وامتهنوا
التملق ليستطيعوا العيش لكي يكن عيشهم كريما فلا
تتوقع أن يضحوا من أجل الجميع عندئذ قالت سنابل:
وماذا لو مات فرد من الايمبوت؟ لكننا سننقذ الجميع
بذلك.

ماذا تقولين! هنا لا تنفع المعادلات الحسابية! لا تقتل
القليل ليعيش الكثير ولا نقتل السفية ليعيش ذو
السلطان. قلت بامتعاض.

ما تقترحين إذا؟ قالت سنابل.

لا أدري! لقد سئمت الاختيار بين السيء والأسوء. هذه
المرّة لن يموت أحد. قلت بحدّة.

لن يموت أحد من اختيارك! لكنهم سيموتون جميعاً من
وحش الأحلام المهملة. أنت كالمصارعة في بركة طين،
أتتوقعين ألا تتلطي به؟ مستحيل.

لقد خفت من محاولة سنابل إقناعي؛ لأنني علمت أن
كلماتها ستصيبني في مقتل وسأستجيب عاجلاً أم آجلاً
وكالعادة سيقوم الایمبوت بدفع ثمن الخلاص! لكن لماذا
خصّ الایمبوت بالخلاص؟ لا بد أن لذلك سرّ خطير. إن
الذي وضع شيفرة الدخول علم أن تواجد الایمبوت في
مركز الاتّما لن يحصل، فلماذا اختارهم ليكونوا العين
الغائرة وليكون بيدهم سرّ الولوج!

أخاف من التفكير! لأنه يؤدي بي إلى نتيجة واحدة ترعبني
بشدة، وأتأمل الساعة كل عدة ثواني فالوقت يداهمنا!
الوقت لا ينتظر أحداً. كانت سنابل تحثني على القيام بالأمر
فقلت لها:

أنت التي تركت أمك، الآن تريدين إنقاذ ما تبقى. قلت
بصرامة.

تركت أُمي لأني لم أعلم أن هناك طريقة للخلاص أما
وقد وجدت فعلينا استغلالها وأشكرك على استعمال
سر لم أخبره لأحد غيرك لتدريني وجهة نظرك. قالت
بأسف.

آسفة حقا يا سنابل! لكنني مرتبكة جدا وأحاول إيقاف
دورة التفكير في رأسي والأمر صعب جدا.

بدأت أفكر تلقائيا! لحظة .. لحظة أليس السيد كاظم خبير
في إزالة شرائح الآتما من رؤوس الناس. فلما لا يساعدنا
على إزالة شريحة من رأس فرد من الايمبوت فيرافقنا إلى
مركز الآتما حيث نستطيع الولوج ببسر!

لحظة واحدة! كان السيد كاظم يعلم بالعين الغائرة، يا
آلهي كان يعلم الحلّ منذ البداية فلماذا لم يستخدمه ولم
يُطلع عليه أحد. قلت في نفسي! وقلت أيضا:

إنّ علمه بعلمي بسر العين الغائرة الموجود في مكتبه قد
يفوّت الفرصة عليّ في مواصلة خطتي وإنّ انتباهه لي، لا
شك سيعيق تقدمي!

الفصل التاسع

قبل تسع سنوات...

اللحظة الفاصلة كانت حين اطلعت على مستواي لأول مرة.. لحظة عشت من أجلها وانتظرتها بفارغ الصبر، هو أهمّ يوم في حياة الإنسان!

ماذا يحصل يا والدي لو تجاوز أحد مستواه؟

سيقع ميتا في الحال!

ولمّا رأى والدي الخوف في عيني أضاف:

إن الآتما محكمة جدا، عليك فقط ألا تدفعي نفسك للفسوق!

ماذا تعني بالفسوق!

تعلمين أنّ التمرة إذا خرجت من قشرتها فقد فسقت، وكذلك الإنسان إذا خرج من مستواه فقد فسق ولذلك فمصيره المحتوم المباشر هو الموت.

حينها بدأت أسأم من الانتظار، تعلم حينما تصل إلى
مرحلة لا يهملك ماذا ستكون النتيجة وما يهملك هو تجاوز
المرحلة فقط أعلم أنّ الآتما ضرورية لتسيير حياتنا نحن
البشر لكنها اغلال وضعناها بعدها طغى الخوف من
المجهول ونفور وتباغض من القريبين والبعيدين وتهديم
للآمال وانسلاخ عن الحرية التي ولدت معنا، لقد رأى
والديّ الارتباك في عينيّ فقال والدي عندئذ:

أنت لست وحدك يا سارة، إن البشرية جمعاء تبخر في
نفس القارب وتأكل من نفس الصحن. إنك لو كنت في
الرزية وحدك فهذا عذاب قاهر ولكنه بلاء هبط على
الجميع.

حلّ يوم الظروف وهو اليوم الذي نستلم فيه ظرفا من
الآتما منصوص فيه المستوى الذي سأعيش فيه بقية
حياتي. يوم الظروف سيكون عيدا لبعضهم ومأساة لآخرين،
تتداخل فيه أصوات الضحك وأصوات البكاء.

دخلت إلى العمارة مسرعة إذ بسميح يعترض طريقي
وقتها.

أأنت جاهزة؟ اليوم يومك يا سارة!

نعم!. أجبت بتوتر.

لا تقلقي يا سارة فحتى لو كنت من المستويات الدنيا
فستكون لك شهية كبيرة. ثم وضع يده على بطنه
المتلثة يتحسسها.

جلست وقلبي يخفق بسرعة ووجهي أصفر فقال والدي:
أذكركم.. أنه أيا يكن المستوى فلا داعي للقلق! فنحن
عائلة واحدة وسنبقى معا مهما حصل، إنه يومك يا
سارة هيا افتحي الظرف.

بيدان ترتجفان، وكيف لا وفي هذا الظرف كلمة تحدد
مصيري وإني أعلم أنه مهما بلغ توتري فلن يغير ذلك من
النتيجة فقد حسمت، ولا مجال للفرص الثانية أو
الاستئناف.

أغمضت عيني وفتحت الظرف بسرعة هستيرية، لقد
مزقته تمزيقا وقرأت النتيجة فذهلت ولم أستطع الكلام في
حين كانت حولي عيون جاحظة تنتظر النطق بالمستوى
فقرأت الظرف بصوت يرتعش:

أيا كانت النتيجة فإنها ستدخل حيز التنفيذ بعد ساعة
من فتح الظرف. إنَّ مستواك يا سارة هو المستوى
الرابع (العالمية)!

تنهدت تنهيدة طويلة كانت كفيلة بتبديد انتظار السنين
الطويلة وقرأت علامات الرضى في وجوه والديّ. فقال
والدي:

الحمد لله أنك لست من حبيسي الغرف (الايمبوت)!
أما والدي فقد حضنتني بقوة وقال:

مرحبا بك يا سارة العالمية!

كانت سعادتني لا توصف، قمت بتوزيع الحلوى على
الجيران ومنهم سميح الذي علّق قائلا:

مبارك يا سارة!.. تعلمين أني أبحث عن عروس لابني
عامر.

أنت لا تفوّت أي فرصة عمي سميح.

إن حصولي على المستوى العالمي لم يكن بتلك الأهمية،
ها أنا أفعل ما كنت أفعله في الحقيقة كنت أرى في التغيير

عقوقا لوالديّ، ولعل ذلك يعود إلى أنني رأيت في التغيير ولو كان مجهديا خيانة للمعروف الذي قدّماه لي منذ ولادتي وللدقّة، لم يكن السبب الوحيد فقد كان هناك خوفاً من المستقبل وخوفاً من الفشل. كل هذه المخاوف أدّت بي إلى سلوك الطريق الأسهل وهو متابعة حياتي حتى هذا اليوم وبعد مرور تسع سنوات، وكأن يوم الظروف لم يكن قط.

الطريق الأسهل طريق مكتظ! في هذه الفترة كان هناك هجوم كبير من نمل الخشب على بيوت الناس، انظر حتى النمل يبحث عن الطريق الأسهل، والنمل معروف بنشاطه وحركته لكنه تكاسل هذا العام فغزا المدينة. وقد اضطررنا إلى دخول جميع البيوت والقضاء على النمل وهناك التقيت صديقتي ياسمين، مثقفة، عيونها خضراء وكانت من الايمبوت ومع الوقت أصبحت صديقتي المقربة!

يا سمين! لقد كبرت على فرضية أنني سأكون من الايمبوت، لا أدري كيف سأستفيد من العالمية!

عليك أن تبحثي كثيرا وتعملي على تطوير ذاتك وقبل ذلك عليك أن تتحكمي في سلطة القرار على مستقبلك.

لكن ذلك سوف يحزن والدي! هل يمكن تفادي ذلك؟

أنت يا سارة قد اتخذت من خوفك سجنًا! عليك أن

تتفادي ظاهرة كاسر الأمواج!

كاسر الأمواج؟

نعم إن الأمواج التي لا تستطيع تفادي كاسر الأمواج لن

تصل للشاطئ، لذلك لن تصلي لغايتك ما لم تتخلصي

من كاسر الأمواج.. إنَّ كاسر الأمواج هو خوفك يا سارة.

عندئذ وضعت ياسمين العديد من البطاقات التي تحتوي

على صور مختلفة وطلبت مني اختيار صورة واحدة، نظرت

إلى الصور فرأيت حصانا أسود ذو لمعان ورأيت كهلا بشعر

أبيض يحمل طفلا ورأيت مخلوقا نصفه انسان ونصفه

حيوان ولكنني حينما اخترت أخذت صورة مفتاح صغير

جميل! عندئذ نظرت إليّ ياسمين بتمعن وقالت:

ستجدين الحلّ، كوني على ثقة بذلك.

حلّ ماذا؟

لا أعلم حلّ ماذا! لكنني أعلم تمام العلم أن هذا المفتاح
إشارة إلى أنك ستجدين الحل! هل تؤمنين بالإشارات يا
سارة؟ قالت بتفحص.

لا أعلم! أنا لا أستطيع قراءة الإشارات، لذا لا يهمني إن
آمنت بها أم لا!

توجهت ياسمين إلى علبة حديدية صغيرة ملونة وفتحتها
وأخرجت منها مفتاحا، على ما يبدو مفتاح سيارة وقالت:
هذا المفتاح هدية مني يا سارة! أبقه بحوزتك دائما كي
تتذكري دائما أن بمقدورك إيجاد حل لأيّ معضلة
كانت!

قطعت سنابل رحلتي في الذاكرة حين قدمت إليّ على
عجل مرتعدة الفرائص وقالت بجزع:

لقد كشف أمرنا! لقد علم كاظم بدخولنا خلسة إلى
مكتبه، وهم يخططون لإلقاء القبض علينا. علينا أن
نتحرك بسرعة!

علينا أن نهرب من هنا الآن. قلت.

لكن ماذا سيفعلون لنا في حال قبضوا علينا؟

سنابل هؤلاء خبراء في زرع ونزع الشرائح ورأيي أنهم
أخطر من الدكتور وجيه!

ومن يكون الدكتور وجيه؟

تلك قصة طويلة، سأقصها عليك في الطريق!

خرجت على حذر وتبعثني سنابل، أرسل بصري ويعقبه
بدني، بانحناءة العجائز واستحياء البكر. ثم حين خرجت من
المجمع رجعت إلى مشيتي العادية سريعا خوفا من أن
أنسى مشيتي لأنه يقال أنّ المشية تنسى بسرعة،
والانحناءة الطويلة تصبح أصلا مؤصلا.

كان الخروج سهلا نسبيا؛ ذلك لأنّ الخروج ليس في مصلحة
أحد فلا حاجة لمنعهم منه عن طريق أسلاك شائكة أو
جدر عالية. ولعل ذلك يعود إلى وجودنا في منطقة نائية!
مشينا حتى وقفنا أمام جيب عسكريّ فقالت ياسمين:
كيف سنحصل على المفتاح الآن؟ قالت بخوف.

لا أدري؟ هل نسرق واحدا؟

لو خيّروني بين طن من ذهب أو مفتاح لهذا الجيب لاخترت
المفتاح! فعلا إن أغلى ما قد يحصل عليه الإنسان هو ما
ينقصه في هذه اللحظة مهما كان تافها في نظر الناس!

ماذا! أنا منذ مدة اخترت المفتاح في لعبة مع صديقتي
ياسمين، ثم أخرجت المفتاح من عقد كنت ألبسه تحت
معطفي ونظرنا إليه فقالت ياسمين:

هيا فلنجربه! قالت بحماس منقطع النظير.

إن هذا الأمر مثير للدهشة حقا! إن هذا المفتاح ملائم
لتشغيل الجيب العسكري. عندئذ غرقت سنابل في ضحك
هستيري وقالت:

تحملين معك مفتاح الجيب طيلة هذا الوقت، من
يحمل مفتاحا لسيارة؟ من أنت يا سارة!

أنا وثقت في صديقتي ياسمين فقط! هل تؤمنين
بالإشارات يا سنابل؟

للتو بدأت! قالت وهي تضحك.

علينا أن نتوجه إلى مركز الآتما! لا بد أننا سنجد حلا حين نصل إلى هناك. أعتقد أنّ القدر يقف إلى جانبنا! فقالت سنابل:

بالأمس كانت أمي تصرخ في وجهي لترتيب غرفتي
واليوم أحاول إنقاذ العالم معك!
إنها ليست كلمة تقال عليك أن تنتبهي فالأمر خطير
وقد يكلفنا حياتنا.

كيف ستكون حياتنا دون الآتما؟
لا تقلقي! نحن البشر نعتاد على أي شيء.

لن يكون هناك تفسيق!
لا أدري إنّ أي حركة أو عمل يفعله الإنسان ستجدين
من يفسق عنه، لكنه مقبول طالما لم يكلف الإنسان
حياته. علينا ألا نعطي من ينوب عنا في ذلك لا الآتما ولا
أي برنامج آخر.

لا أعلم كيف سنتمكن من الولوج دون الحصول على دمّ
الايمبوت، ولست واثقة من النجاح فمن الممكن أن
نتنظر أمام المركز حتى تقضي الآتما على آخر انسان! إن

الاستخفاف بالحلّ خداع للنفس فمن الممكن أن نسير
حتى نصطدم بجدار فولاذي فعندئذ فقط نستفيق
ونفهم جدية هذا الأمر. وما زلت أتساءل كيف لكاظم
الذي عرف الحلّ ولم يحاول أبداً إنقاذ جميع
المستويات! لكن العلم دون حكمة مأساة فالحكمة هي
التي تثير العطف!

ذلك العطف الذي يجعلك تجتهد لحلّ معضلة لا
تمسّك.

في طريقنا إلى مركز الآتما، أفكر في شيء مشترك لجميع
المستويات رغم تباعدها واختلافها. إنه الشوق!
كلنا بني البشر على الاطلاق يشتاقون لشيء ما! أما أنا
فاشتاق لوالديّ وسالم وياسمين.

إن الشوق يشبه البغض في وجه من الوجوه! فالمشتاق
والمبغض كلاهم مجاّفي.

الفصل العاشر

حلّ الليل، وأخيرا وصلنا نرجلنا من الجيب ووقفنا أمام منشأة عظيمة محاطة بجدار عظيم وأسلاك شائكة ولا مجال للولوج إلا من البوابة الرئيسية المحروسة جيدا، تقدمنا إلى هناك فأوقفنا ثلاثة جنود وصاح أحدهم:

توقفوا .. ارفعوا أيديكم للأعلى ولا تتحركوا!

أيّها الجنود .. نحن في مهمة طارئة! علينا أن نلج إلى المنشأة.

لا يمكنكم الدخول .. ابتعدوا وإلا أطلقنا النار. قال الجندي المسئول.

اسمعنا على الأقل .. عما قريب سيموت البشر بسبب وحش الأحلام المهملة والسبب في ذلك هي الآتما.

لا أحد يدخل تفهمين!

عندئذ قالت سنابل:

أنتم أيضا في خطر.

نحن لسنا في خطر، نحن من المستوى الرابع. قال
الجندي المسئول!

عندئذ نظر إلينا الجندي المسئول وقال بخبث:

هناك طريقة واحدة لدخولكم إلى المنشأة.

وما هي؟ قلت باستغراب.

أن ترافقني صديقتك إلى حجرتي.

ماذا؟ أنت إنسان مريض!

نعم أعلم! إما هكذا وإلا فلن تدخلوا أبدا.

رجعنا أنا وسنابل إلى الورااء قليلا وقلت:

لن نسمح له أن يفعل ما يريد، لن أدعك تضحّين
بنفسك من أجل أحد! ولا حتى من أجل إنقاذ العالم.

اسمعي يا سارة، أنا مستعدة لإنفاق الغالي والنفيس
من أجل إنقاذ العالم، أأست من قال أنّ علينا أن ننوب
عن الآخرين. الآخرين ليسوا بهذا القبح هم أبي وأبيك وأنا
مستعدة للتضحية من أجلهم!

لا مستحيل، لن أسمح لك.

فقط ادخلي إلى المقر! وافعلي ما جئنا لأجله.

بدأت سنابل تتقدم باتجاه الجندي، بينما توقف الزمن عندي! كنت كلما خيّرت اخترت ما هو جيد للجميع، أو ما أظنه جيدا للجميع، نفسيتي تعبته جدا ومنهارة من كم التضحيات في الطريق!

إن التضحية في رحلتي كسراء التذكرة شرط للتقدم! كنت كلما أردت التقدم قدمت قربانا فتارة ذبحت حبا وتارة أخوة والآن صداقة. إنفاق الغالي والنفيس شرط للتقدم؟ وكيف يتقدم الجسد والروح عالقة في الماضي!

الاختيار بين السيء والسيء لا يجلب إلا السوء! والسوء يحب الاستحواذ، والمستحوذ يطمس وجوهنا ونحن الآن نسلمه السلطة أيّ نجاة هذه بمساعدة السوء، بمساعدة الصراخ والموت وفقدان الحياة في الحياة.

سأنسحب من لعبة السوء! الخروج في هذه اللحظة فشل؟ فليكن! الوجد وتأنيب الضمير أشدّ.

لن أجيّب على أسئلتهم بعد اليوم! لأنّ أسئلتهم مخضبة
بالدماء الزكية. ناديت سنابل بصوت أقرب للصراخ!

سنابل .. سنابل، ارجعي إلى هنا! لا كسب يعقبه ندم..
ارجعي!

نظرت إليّ متفاجئة فعادت وقالت:

سارة علينا إنقاذ العالم، أليس كذلك؟

عندئذ أمسكتها من كتفيها:

من أعطاك هذه المهمة ها، من وكلّك بها؟ وهل لك أن
توافقي أو أن ترفضي. فليحترق العالم بمن فيه، إذا كان
لا يحتفل إلا بشهادة الوفاة!

ثم نظرت في عينيها فبكيت بكاء شديدا وقلت:

لا كسب يعقبه ندم! لا كسب يعقب... فحضنتها وأنا
أذرف الدموع والجنود يحدّقون!

إن الاستجابة والإذعان لطلبات المرضى سيجعلك مريضا
مثلهم! وإذا فتح سوق الأذى فلن يباع غير الأذى فيه!

عندئذ صاح أحد الجنود بغضب:

هيا ارحلوا من هنا وإلا فتحنا النار.

وفعلا لقد هممنا بالرحيل! الرحيل المبرئ من الفتنة
والمرض! الرحيل بلا شهادة انتقاص من أصدنا. الرحيل
احتفالا بأننا خارج لعبة السوء. أنا الآن أكتفي بالصدقة عن
إنقاذ العالم! بدأنا بالتقدّم.

فجأة سمعنا دويّ رصاص فانبطحنا إلى الأرض، تم قنص
الجندي الأول ثم الجندي الثاني، ولم تجدي محاولة
الجندي الأخير من دخول المنشأة حتى قنص وسط ذهول
منا وخوف من قد يكون هذا القنص وهل سيقضي علينا
نحن أيضا؟

فجأة خرج من الشجيرات رجل طويل القامة، مهيب
تذكرني هيئته بعبّاد، فاقترب منا فقال بصوت جهوريّ:

أتظنين أنك سوف تحتفلين وحدك بإنقاذ العالم يا
سارة!

عبّاد! لا أصدق! أنت حيّ؟

نعم أنا عبّاد بلحمه وشحمه.

كيف نجوت؟

تقدم إلي جندي ليقضي عليّ، فغضته بضحكي في وجه
الموت، فأراد أن يهينني ففكّ هذا الأحمق وثاقي فكانت
غلطة عمره، وعرفت أنك لن تتنازلي عن إنقاذ العالم
فتبعتك إلى هنا!

يا إلهي .. لم أشعر بالسعادة بهذا الشكل قط.

لا يستطيع الإنسان أن يشترك في لعبتين، فإما أن تختار
لعبة السعادة وإما لعبة السوء! لم يمضي من تركي
لعبة السوء عدة دقائق، فإني أعلن انضمامي إلى لعبة
السعادة.

وحريّ بكل من يشعر بالسوء، أن يشترك بالسعادة
والبشارة التي تنتظر بالخارج، تنتظر أن يدخلها أحد ما!
إن التبديل للأفضل يبدأ بالعصيان. والعصيان نوع من
أنواع الفراق، والفراق يوجع! لذلك فإن التبديل للأفضل
يوجع! لكنه أفضل.

بالإضافة إلى أن انشغالي بأمر مهول ورؤيتي بالفوضى
العارمة أنستني وجود شعور بالسعادة وأنستني طعمه
الشهيّ. ثم يظهر على غفلة ليذكرنا.

عبّاد، إنني جد آسفة، على إعطائي الأمر بقتلك. لقد كنت
تحت تأثير المثير الحسيّ.

لا عليك! المثير الحسيّ أوقعني في مأزق وهو نفسه
أخرجني منه.

ثم أضاف:

هل لديكما خطة للقضاء على الآتما؟

لقد فهمنا المقصود بالعين الغائرة! لكنها صعبة المنال!
هياّ تعالوا ورائي لندخل المنشأة، لعلنا نجد حلا هناك.

الفصل الحادي عشر والأخير

دخلنا بسرعة إلى الحاسوب الرئيسي الذي وضع في وسط قاعة كبيرة. تقدمت نحوه وضغطت على الاختيارات ثم اخترت إلغاء برنامج الآتما. فجأة أخرج الحاسوب شريحة ثم ظهر رمز العين الغائرة على شاشته. فقلت في نفسي:

وهل كنت تتوقعين شيئاً آخر! إن كون الغاية نزيهة لا يعني أنها تعطي تخفيضات أكثر.

لا يعقل أننا قدمنا إلى هنا بواسطة مفتاح حفظته لسنوات، ثم عودة عبّاد من الموت! حتى نفشل في نهاية المطاف، ما العمل؟

هل قطعنا كل ذلك ليكون مصيرنا الفشل؟ قال عباد.

ماذا إن لم يكن هناك سبيل لإيقاف الآتما منذ البداية! قلت.

ثم قالت سنابل بتفكير:

لما لا نقوم باختطاف كاظم إلى هنا! ثم نجبره على تبديل شريحة أحدنا لشريحة من المستوى الأول. فإن لم نستطع إحضار فرد من الايمبوت إلى هنا فلنصنع واحدا! فعلا هذا ممكن، لكن كم من الوقت نحتاج لهذه الخطة؟ يوم؟ يومان؟ لا شك أنك لم تري ما يحصل في الخارج! الجثث ملقاة فوق بعضها وأعمدة النار في نواح الحصينة كلها، إما الآن أو قد فات الأوان.

الأتما تعمل بصرامة وأنا مشتتة! دوامة التفكير تشلّ حركتي إنها تعمل بقانون من ماضيها ونحن نحاول الحفاظ على مستقبلنا فأبي الفريقين أبلغ وأي الفريقين أحق.

أيعقل أننا قد سلبنا القدرة على شفاء أنفسنا؟ أيعقل أنّ نداءنا وصراخنا واستغاثتنا لا تسمع؟ هل العذاب بالعذاب يجازى والسلب بالسلب يكافئ والظلم بالظلم يجابه.. لقد وصلنا إلى حافة الهاوية!

جلسنا على الأرض نندب حظنا فقال عبّاد:

يا ليتني كنت متّ مكان ابني لما عشت هذا الفشل
ولما جلست هكذا بلا أمل!

كنت مكان ابنك! كنت مكان. فكرت ثم نهضت بسرعة
البرق!

ماذا حدث؟ قال عباد.

تذكر فصل البرامج المائة في كتاب الآتما؟

نعم! لماذا؟

لقد تم اختيار الآتما من بين مئة برنامج! ماذا لو
استطعنا تبديل الآتما ببرنامج آخر.

عندئذ دخلت إلى الحاسوب المركزي وفتحت ملف البرامج
المئة لكنه لم يكن بلغة أفهمها بل كان عبارة عن لغة
برمجة جديدة تحتوي على دوائر ومثلثات، لذلك كان من
الصعب أن أختار:

أيهم نختار يا عباد؟

اختاري أي شيء لا يهم عليك أن توقفي الفوضى
العارمة، إن كل ثانية هي حياة إنسان!

عندئذ ضغطت على برنامج بشكل عشوائي فبدأ الحاسوب
يُجري التعديل المطلوب وفي غضون عدة دقائق أعلن
الحاسوب أنه قد أنهى التعديل وكتب على الشاشة:

لقد بدأ العمل في آلية تصغير حجم الإنسان!

فقلت لعبّاد:

لقد أوقفنا الفوضى العارمة لبعض الوقت سيكون علينا
إكمال مهمتنا! لكن على الأقل لن تكون هناك
مستويات!

تنفست تنفس ما بعد الأتما الأول! سكينه غريبة هبطت
علينا فحضنتني سنابل وقالت:

لقد نجحت يا سارة.

تقصدين لقد نجحنا، المعية والرفقة هي التي قادتنا إلى
الفوز، وأتمنى أن تكون المعية والرفقة أساسا لتأسيس
أي شيء في المستقبل. قلت بفخر.

فجأة جلس عبّاد أرضا وبدأ يتصبب عرقا وقال:

سارة أعتقد أن وحش الأحلام المهمة بدأ يظهر لي!

لا تقلق يا عباد .. هذه بقايا! اجلس اغمض عينيك ..
احلم حلما جديدا تكون فيه سعيدا بدل الحلم القديم
المهمل!

عدة دقائق ثم فتح عينيه مبتسما ثم قال:

لقد اختفى!

الأحلام الجديدة فرصة جديدة، فرج بعد شدة، لقد تغيّر
حلم عبّاد الآن لم يعد حلمه دخول الحصينة؛ لأن دخول
الحصينة لم يعد مشروطا أو منوطا بمستوى، حزني
شديد على الذين سقطوا من غربال الآتما. لكن الآن لن
تكون هناك آتما تصرفنا عن الإعداد للعبة السعادة.
وداعا أيتها الآتما، لن نشتاق لك!

لن تكوني معي يا ياسمين ولا سالم سيكون معي، لكنكم
كنتم من دفع بي إلى إنقاذ العالم لن أنساكم ما حييت!

-النهاية -